د.طارق منصور (*)

فتوح الشام وفلسطين فى ضوء حولية ثيوفانيس المعترف: دراسة فى إيديولوجية المؤلف تجاه الإسلام

مرت فترة من الوقت من عمر بيزنطة نضب فيها معين التاريخ لمدة قرنين من الزمان(١)، وهى الفترة التي انهمكت فيها الإمبراطورية البيزنطية في صراع طويل، شديد المراس، مع القوة الإسلامية الصاعدة، طوال القرنين السابع والثامن الميلاديين. ويعود المؤرخون إلى أقلامهم وصحائفهم ثانية مع القرن التاسع الميلادي، حيث تصلنا مدونة الراهب ثيوفانيس المعترف Theophanes the Confessor (٧٦٠-٨١٨م/١٤٣-٢٠٣هـ) الذى دون الأحداث فيها منذ عام ٢٨٤م وحتى عام ٨١٣م/١٩٨هـ، وسار في تدوينه على النظام الحولي، شأنه في هذا شأن سلفه يوحنا مالالاس(٢). وقد كتب ثيوفانيس مدونته باللغة اليونانية الدارجة فيما بين عامي ٨١٠، ٨١٤ م، وتعتبر استكمالاً لتلك التي كتبها صديقه جورج السينكللوس George Synkellos؛ واعتمد في كتابتها على مجموعة من المصادر التاريخية التي فقد معظمها، ولم تصلنا بصورة مباشرة(٣).

وتجدر الإشارة إلى أن ثيوفانيس كتب مدونته التاريخية متأثراً بتحيز الرهبان القاطع، بيد أنه كان يحتفظ لنفسه بحكمه على الأشياء. ولا يزال عمله هو المرجع الثقة الوحيد عن القرون السابقة لعصره عن تاريخ بيزنطة،(٤) وقد اعتمد عليه بعض من المؤرخين الذين جاءوا بعده، ومن أشهرهم قسطنطين بورفيروجنيتوس (٥).

---

* أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد، كلية الآداب ، جامعة عين شمس، مصر.

ويحتل الراهب البيزنطي ثيوفانيس أهمية بالغة في الكتابة التاريخية البيزنطية لعدة أسباب:

أولاً: عاش ثيوفانيس في فترة غامضة من تاريخ الدولة البيزنطية (القرنين ٨-٩م) لم تصل إلينا منها مدونات تاريخية تعكس حقيقة تاريخها وعلاقاتها بالأمم المجاورة في ذلك الوقت، باستثناء كتابات رجال الدين المسيحي، التي غلب عليها الطابع الديني والخطابي المضاد للإسلام (٦).

ثانياً: تعتبر رواية ثيوفانيس الرواية الأكثر أهمية من المؤرخين البيزنطيين الآخرين، لاسيما وأنها ذات قيمة تاريخية عالية، خاصة فيما يتعلق بتاريخ العلاقات العربية البيزنطية، في الفترة من ظهور الإسلام وحتى عام ٨١٣م/١٩٨هـ (٧).

ثالثاً: اعتمد كثير من المؤرخين البيزنطيين والغربيين ممن جاءوا بعد ثيوفانيس على رواية الأخير، نظرا لأنها اعتمدت على عدد من الكتابات التاريخية المفقودة، والتي تعود إلى القرنين السابع والثامن الميلاديين (٨).

رابعاً: تعتبر رؤية ثيوفانيس لحياة الرسول ﷺ وللفتوحات الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين انعكاساً لبعض المصادر التاريخية السابقة عليه،(٩) لاسيما المصادر السريانية، التي نقل عنها ثيوفانيس أفكاراً مشوشة عن الإسلام إلى بيزنطة. فقد اعتمد في هذا الصدد وبصورة أساسية على ما كتبه يوحنا الدمشقي، بالإضافة إلى ديونيسيوس التلمحري.(١٠) ولا نبالغ إذا قلنا أن هذه الرواية بأفكارها المشوهة عن الإسلام لا زالت تلوكها ألسن الرهبان في أوروبا حتى الآن، وساعدت علي عدم بيان الصورة الحقيقية للإسلام في الغرب الأوروبي.

وتأتي هذه الدراسة لا لتنقل رواية ثيوفانيس بهذا الصدد إلى العربية وتناقشها فحسب، مقارنة بالمصادر التاريخية الأخرى، بل لتبحث في إيديولوجية المؤلف تجاه الإسلام؛ ولتبحث عن أسباب خروج روايته عن الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام وفلسطين زمن الرسول والخلفاء الراشدين بالشكل الذي سنعرضه، وإلى أي مدى أثر في كتابات المتعاقبين عليه من المؤرخين البيزنطيين.

وإذا اتجهنا نحو رؤية ثيوفانيس للفتوحات الإسلامية، ولكي نفهم إيديولوجية هذا الراهب تجاه الإسلام، علينا أن نناقش أولاً حديثه عن الرسول الرسول ﷺ لأنه سيساهم كثيراً في استيعاب رؤيته للفتوحات الإسلامية في بلاد الشام، والتي تعكس رؤية أحد رجال الدين البيزنطيين؛ حيث يبدأ ثيوفانيس حديثه، تحت أحداث عام ٦٢٩-٦٣٠م/٨-٩هـ، بذكر ما يلي عن الرسول الذي جعله حاكماً للعرب لمدة تسع سنوات: «في هذا العام توفي محمد، زعيم العرب ونبيهم المزيف، بعد أن عين أبا بكر، وهو أحد أبناء قبيلته، ليخلفه في الرئاسة...(١١) وهنا يبدأ ثيوفانيس حديثه باتهام الرسول الرسول ﷺ

بزيف نبوته، وهو موضوع سيعود إليه فيما بعد، ويجعل وفاته في عام ٦٢٩-٦٣٠م/٨-٩هـ، والصحيح أنه توفي في عام ١١هـ/٦٣٢م؛(١٢) كما أن الرسول الرسول ﷺ لم يعين أبا بكر الصديق خليفة له، بل تم اختياره من قبل المسلمين في اليوم الذي توفي فيه الرسول الرسول ﷺ في سقيفة بني ساعدة.(١٣) إتباعاً للمنهج القرآني «وأمرهم شورى بينهم».(١٤) ثم ينتقل ثيوفانيس للحديث عن أصل ونسب الرسول الرسول ﷺ حيث يقول:

«. . .وأعتقد أنه من الضروري أن أتحدث عن أصل هذا الرجل. فهو ينحدر من قبيلة واسعة الانتشار جدا، وهي من نسل إسماعيل بن إبراهيم، حيث يعتبر نزار، وهو من نسل إسماعيل، أباهم جميعا. وقد رزق ولدين هما مضر وربيعة. ورزق مضر قريشا، وقيسا، وتميما، وأسدا، وآخرين غير معروفين. وقد سكنوا جميعهم صحراء مدين (١٥)، حيث عاشوا في خيام، وعملوا في تربية الماشية. وكان هناك أيضا آخرون يعيشون في أماكن بعيدة وليسوا من قبيلتهم، بل من الحميريين Homerites الذين كانوا يعرفون باسم العمالقة Amanites (١٦). وكان بعض هؤلاء يتاجرون في إبلهم». . .(١٧) وفي هذا المقام يتفق ثيوفانيس مع المؤرخ الأرمني سيبيوس، الذي عاش في القرن السابع الميلادي وعاصر حركة الفتوحات الإسلامية، حيث يشير سيبيوس أيضاً إلى نسب الرسول ويعود به إلى أبناء إسماعيل عليه السلام.(١٨) غير أن ثيوفانيس، على الرغم من أن مصدره يعود إلى بدايات القرن التاسع الميلادي، إلا أنه يقدم تفصيلات أكثر من سيبيوس، مؤرخ القرن السابع الميلادي. ومن المحتمل أن ثيوفانيس اعتمد على مصادر شرقية في الحصول على معلومات دقيقة إلى حد كبير عن أصل العرب ونسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ وهو، حسب المصادر العربية، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب، وينتهي نسبه إلى إسماعيل عليه السلام بن الخليل إبراهيم.(١٩) وقد اتفق النساب على أن مضر وربيعة هما من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام،(٢٠) وهو ما يتفق مع رواية ثيوفانيس، التي يضيف فيها أنهم كانوا يعملون بالرعي والتجارة. ثم ينتقل ثيوفانيس للحديث عن فترة شباب محمد قائلاً:

«ولأن محمد كان معدماً ويتيماً فقد قرر الدخول في خدمة امرأة ثرية، كانت من أقاربه، وتدعى خديجة، كأجير عندها على أن يعمل في تجارة القوافل ما بين مصر وفلسطين. ورويداً رويداً أصبح جريئاً وحظي بمكانة عند هذه السيدة، وكانت آنذاك أرملة، فاتخذها زوجة له، وامتلك إبلها وثروتها. . .» (٢١) وفي هذا الصدد لا يحيد ثيوفانيس عما نعرفه عن اشتغال الرسول ﷺ بتجارة السيدة خديجة، ثم زواجهما بعد ذلك، غير أنه يحاول تصوير محمد الرسول ﷺ في صورة أنه تزوجها حتى يستولي على أموالها، وأنه هو الذي قرر الدخول في خدمتها؛ على عكس المؤرخين المسلمين الذين يذكرون أنها هي التي أرسلت في طلبه ليخرج

بمالها إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، بعد أن سمعت عن صدقه وأمانته.(٢٢)ولا يوجد دليل تاريخي على أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يخرج بالتجارة إلى مصر، كما زعم ثيوفانيس، بل كان يخرج بها إلى فلسطين والشام؛ واشتغال الرسول بالتجارة مؤكد عند سيبيوس أيضاً، الذي يشير صراحة إلى أنه كان تاجراً (٢٣).

وقد تزوج محمد ﷺ السيدة خديجة بنت خويلد بعد ذلك، وكان عمره آنذاك خمسة وعشرون عاماً، وهي تكبره بخمسة عشر عاماً أو بعشرين عاماً على الأقصى، أي كان عمرها آنذاك أربعون أو خمسة وأربعون عاماً.(٢٤) ولزواجه من السيدة خديجة بنت خويلد قصة، حسب المصادر العربية، تثبت أن محمداً ﷺ لم يسع للزواج منها، كما صور ثيوفانيس، بل هي التي طمعت في الزواج منه وأرسلت تخطبه لنفسها، فبعد أن ذهب محمد ﷺ بتجارتها إلى الشام مع غلامها «ميسرة» باعا ما حملا معهما، واشتريا بما عادا به، وربحا ربحاً عظيماً. ولما عادا إلى مكة سمعت خديجة من ميسرة الكثير عن أمانة محمد ﷺ وما رأى منه، فسرت لذلك سروراً عظيماً، وأرسلت إليه تخطبه لنفسها، حيث قالت له: «يا بن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك»، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ «أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً».(٢٥) وذهب محمد مع أعمامه إلى عمها عمرو بن أسد، فخطبوها منه فزوجه منها.(٢٦) غير أن اليعقوبي يذكر رواية مختلفة، وإن كانت تعكس أيضاً أن السيدة خديجة هي التي رغبت في الزواج منه، حيث يقول: (٢٧) «... روى بعضهم عن عمار بن ياسر أنه قال أنا أعلم الناس بتزويج رسول الله خديجة بنت خويلد، كنت صديقاً له فإنا لنمشي يوماً بين الصفا والمروة إذا بخديجة بنت خويلد وأختها هالة، فلما رأت رسول الله جاءتني هالة أختها فقالت: يا عمار ما لصاحبك حاجة في خديجة؟ قلت والله ما أدري فرجعت فذكرت ذلك له فقال ارجع فواضعها وعدها يوماً نأتيها فيه ففعلت. فلما كان ذلك اليوم أرسلتُ إلى عمرو ابن أسد وسقته ذلك اليوم، ودهنت لحيته بدهن أصفر وطرحت عليه حبراً، ثم جاء رسول الله في نفر من أعمامه تقدمهم أبو طالب...«وقد توفيت عن عمر يناهز الخامسة والستين.(٢٨) وهكذا لا يصيب ثيوفانيس في هذا الجزء من روايته حول زواج محمد ﷺ من السيدة خديجة، والذي لا نجد له أثراً في رواية سيبيوس، الذي يتناول بعد ذلك بالقول بعضا من تعاليم الإسلام، بل ويستشهد بالآية القرآنية «إن ينصركم الله فلا غالب لكم» (٢٩) في نهاية حديثه عن الرسول ﷺ.(٣٠)

وينتقل ثيوفانيس بعد ذلك ليشن هجوماً على الرسول ﷺ متهماً إياه بعدد من الاتهامات الباطلة، منها أنه كان على اتصال باليهود والهراطقة من المسيحيين، والمقصود هنا إما الأريوسيين، الذين كانوا على مذهب أريوس الباطل من وجهة نظر الكنيسة، والذي يقضي بأن المسيح عليه السلام ليس من جوهر الأب، ومن ثم ليست له صفة الإلوهية، بل مخلوق تسري عليه قوانين الخليقة؛ وهو المذهب الذي خرج على أيدي الأسقف المصري أريوس عام ٣١٨م، ولاقى انتشاراً واسعاً في بلاد الشام، لاسيما فلسطين، وآسيا الصغرى: (٣١) أو النساطرة،

ممن كانوا على مذهب نسطور، الذي نادى بأن السيدة مريم ينبغي أن تُكنى بوالدة المسيح، وليس والدة الإله، لأنها لم تلد إلها، بل ولدت إنسانا هو إله لله.(٣٢) ولهذا سيجعل ثيوفانيس ورقة بن نوفل، راهباً منبوذاً، بسبب هرطقته المسيحية. وبهذا يحاول أن يوحي للقارئ بأن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إنما نقله عن اليهود والمسيحيين الأريوسيين أو النساطرة في فلسطين، أثناء رحلاته التجارية إلى بلاد الشام؛ ومن ثم فديانته هذه هرطقة جديدة. والاتهام الباطل الآخر الذي يتهم به الرسول ﷺ هو أنه كان مصاباً بالصرع، وفي هذا المقام يقول:

«...وعندما قدم إلى فلسطين رافق يهوداً ومسيحيين، وتعلم منهم أموراً محددة من الكتاب المقدس. وبالإضافة إلى ذلك فهو مصاب بالصرع. وعندما تيقنت زوجته من هذا صدمت بشدة؛ وبقدر ما كان لهذه السيدة من مكانة بين قومها، تزوجت مثل هذا الرجل، الذي لم يكن فقيراً فقط بل مريضاً بالصرع أيضاً. وقد حاول أن يخدعها قائلاً: 'إنني أرى دائماً ملاكاً يدعى جبريل، ولست بقادر على تحمل رؤيته، وإنني أخر وأسقط.' والآن كانت (خديجة) تعرف راهباً يعيش قريباً من المكان، وهو أحد أصدقائها (قد نفي بسبب مذهبه المنبوذ)، وقصت عليه كل شيء، بما في ذلك اسم الملاك. ورغبة منه أن يرضيها قال لها: «إنه نطق بالحق، لأن هذا هو الملاك الذي نزل على كل الرسل» وعندما سمعت كلمات هذا الراهب المزيف، كانت أول من آمن بمحمد وأخبرت نسوة قبيلتها بأنه كان نبياً. ومن ثم انتشر الخبر من النسوة إلى الرجال، وكان أبو بكر أولهم، الذي تركه كخليفة له. وقد انتشرت هذه الهرطقة في منطقة يثرب، ثم لجأ إلى الحرب: في البداية كانت سراً لمدة عشر سنوات، وبالحرب عشر أخرى، وجهراً تسع سنوات... (٣٣)

وهكذا، يحاول ثيوفانيس أن يؤكد على مسألة علاقة الرسول صلي الله عليه وسلم باليهود والمسيحيين أثناء رحلاته التجارية إلى فلسطين، ليوحي للقارئ بأنه استقى منهم أخبار النبيين السابقين، وغير ذلك من المسائل اللاهوتية، وهو بهذا ينحرف بالرواية التاريخية عن تلك الواردة في بعض المصادر العربية عن الراهب الذي استضاف أبو طالب وابن أخيه محمد عندما خرجا للتجارة في فلسطين، وكان هذا قبل البعثة النبوية بسنوات طويلة، حيث كان عمره آنذاك تسع سنوات أو اثنتا عشرة سنة، حيث يقول الطبري في هذا المقام:

...خرج (أبو طالب) به معه فلما نزل الركب بُصرى (٣٤) من أرض الشام، وبها راهب يقال له بُحِيرى في صومعة له، (٣٥) وكان ذا علم من أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة ... راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيما يزعمون يتوارثون كابراً عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك أنه رأى رسول الله وهو في صومعته عليه غمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا حتى نزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله حتى استظل تحتها، فلما رأى

ذلك بحيرى نزل من صومعته، ثم أرسل إليهم فدعاهم جميعاً، فلما رأى بحيرى رسول الله جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته؛ فلما فرغ القوم من الطعام وتفرقوا سأل رسول الله عن أشياء في حالة يقظته وفي نومه، فجعل رسول الله يخبره فيجدها بحيرى موافقة لما عنده من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، ثم قال بحيرى لعمه أبي طالب ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، فقال له بحيرى ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي، قال فما فعل أبوه؟ قال مات وأمه حبلى به، قال صدقت ارجع به إلى بلدك، واحذر عليه من يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً، فإنه كائن له شأن عظيم. فأسرع به إلى بلده، فخرج به عمه سريعاً حتى أقدمه مكة. وقال هشام بن محمد خرج أبو طالب برسول الله إلى بصُرى من أرض الشام وهو ابن تسع سنين...» (٣٦)

وتذكر المصادر العربية (٣٧) أنه عندما شب محمد صلي الله عليه وسلم عن الطوق صار يخرج بالتجارة، وقد خرج بتجارة السيدة خديجة مع غلامها ميسرة إلى الشام حيث مرا على صومعة راهب، «فنزل رسول الله في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان يدعى نسطور،(٣٨) فأطلع الراهب رأسه إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم. فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.» وهكذا، لم تقابلنا غير هاتين الروايتين عن رؤية محمد صلي الله عليه وسلم لبعض رهبان الشام وهو في طريقه للتجارة من مكة إلى الشام، ولا يوجد ما يثبت أنه استمع لهم أو نقل عنهم، ومن ثم فلا سند يجعل رواية ثيوفانيس حقيقة؛ ومن ثم لا يستطيع الباحث أن يعول على روايته في هذه النقطة، والتي يبدو أنه نقلها عن مصدر سرياني، بصورة واضحة، حيث نجد يوحنا الدمشقي، أحد رهبان دير القديس سابا ببيت المقدس، يردد فكرة اتصال الرسول ﷺ بورقة بن نوفل، الأريوسي المذهب، الذي ساعده على دراسة العهدين القديم والجديد، والإعداد لظهور مذهبه أو دعوته.(٣٩)

جدير بالذكر أن حديث ثيوفانيس هذا نجد صداه عند بعض المؤرخين المحدثين، حيث يردد ستراتوس، على سبيل المثال، رواية ثيوفانيس السابقة؛ بل ويضيف أن الرسول صلي الله عليه وسلم تلقى معرفته الأولية عن المسيحية من الراهب بْحِيرى، المونوفيزي المذهب، وعن اليهودية من اليهود العرب؛ وأنه تعلم أموراً بعينها عن العقيدة المسيحية منه وكذلك أجزاء من العهدين القديم والجديد.(٤٠)

أما قصة اتهام الرسول صلي الله عليه وسلم بالصرع، فقد ابتكرها المستشرقون للطعن في واقعة الوحي الذي نزل على الرسول ﷺ حتى يستطيعوا القول أن ما كان يقوله إنما صدر عن شخص مريض، تفوه به أثناء نوبة الصرع.(٤١) إن الثابت تاريخياً أن الرسول ﷺ كانت تنتابه شدة من الوحي،(٤٢) وقد عاد إلى السيدة خديجة وهو يرتجف، عندما نزل عليه الوحي أول مرة، ويقول لها زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، حينئذ أخذ يقص

عليها ما حدث. وعلى أثر ذلك اتجهت السيدة خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وهو شيخ كبير في السن، كان يدين بالمسيحية، متبحرا في العلوم الدينية.(٤٣) لتقص عليه ما رآه الرسول صلي الله عليه وسلم. وهنا بشرها ورقة بن نوفل بأن هذه أعراض الناموس الأكبر (٤٤) الذي نزله الله من قبل على موسى. وعلى الفور عادت إلى محمد فأخبرته بقول ورقة.(٤٥) ويخطئ ثيوفانيس في روايته السابقة بقوله أن ورقة بن نوفل «كان أحد أصدقاء السيدة خديجة». والصحيح أن ورقة بن نوفل كان ابن عمها.(٤٦) كما أن الصداقة بالمفهوم البيزنطي بين الرجل والمرأة لم تكن منتشرة في بيئة محافظة كبيئة العرب.(٤٧) غير أنه يتفق مع الرواية العربية في القول أنها أول من آمنت به من النساء، ومن الرجال كان أبو بكر الصديق(٤٨)، وأن الإسلام انتشر في يثرب المدينة فيما بعد دخول الرسول صلي الله عليه وسلم إليها، والتي انتشر منها بعد ذلك إلى كل أرجاء الجزيرة العربية.

أما عن مسار الدعوة فقد أصاب ثيوفانيس في القول أنها كانت سرية في البداية، وقد نجم صلي الله عليه وسلم عن هذه المرحلة إسلام ستين شخصاً كان أغلبهم من وجهاء قريش. ثم تأتي مرحلة الجهر بالدعوة بناء على أمر الله سبحانه وتعالى، بعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية في مكة.(٤٩) لا عشراً كما قال ثيوفانيس، وتستمر مرحلة الجهر بالدعوة حتى فتح مكة ٨هـ/٦٣٠م، ثم وفاة الرسول ﷺ ١١هـ/٦٣٢م.(٥٠) غير أن ثيوفانيس يجعل مغازي الرسول ﷺ مرحلة مستقلة ويجعلها بعد مرحلة الدعوة السرية، وهذا أمر يشوبه شيء من عدم الصحة، نظراً لأن مرحلة الجهر بالدعوة صحبتها معارك وغزوات عدة داخل وخارج الجزيرة العربية في سبيل نشر الإسلام؛ ومن ثم فإن الدعوة الإسلامية انتشرت على مرحلتين هما الدعوة سراً، ثم جهراً بدءاً من عام ٦١٣م/٩ ق.هـ. ومن الأخطاء التي انزلق إليها ثيوفانيس أيضاً أن جعل مدة الدعوة إلى الإسلام تسعة وعشرون عاماً، بيد أن الدعوة الإسلامية منذ أن نزل الوحي على الرسول ﷺ عام ٦١٠م/١٣ق.هـ وحتى وفاته عام١١هـ/٦٣٢م كانت جملتها ثلاثة وعشرون عاماً تقريباً؛ حيث كان عمر الرسول وقت نزول الوحي عليه أربعون عاماً (٥١) وتوفي عن عمر يناهز الثالثة والستون.(٥٢)

على أية حال ينتقل ثيوفانيس في هجومه بعد ذلك على الرسول ﷺ بمحاولة الربط بينه وبين اليهود، حتى يقول أنه ورث عداء اليهود للمسيحيين. وفي هذا الموضوع يقول:

«...وفي نفس الوقت ذاع صيته في الخارج، وكان كل شخص مرتعدا (منه) وعند مطلع ظهوره اعتقدت فئة من اليهود أنه المسيح (٥٣) الذين ينتظرون ظهوره، ومن هنا انضم له بعض قادتهم ودخلوا دينه، بينما تخلوا عن دين موسى، الذي رأى الله. وكان عدد هؤلاء اليهود عشرة، وقد ظلوا معه حتى مقتله. ولكن عندما وجدوا أنه يأكل لحم الإبل أدركوا بالفعل أنه ليس من يعتقدون بظهوره،(٥٤) وأصبحوا في حيرة فيما عليهم فعله، فهم يخافون أن يرتدوا عن دينه؛ ولقنته تلك الفئة الضالة مبادئ غير مشروعة ضدنا، نحن المسيحيون، وقد ظلوا معه...» (٥٥)

ويبدو أن ثيوفانيس يتحدث هنا عن رهط من الخزرج التقى بهم الرسول ﷺ ذات يوم وهم في طريقهم للحج عام ٦٢٠م/١٠ من النبوة، عند العقبة، وكان عددهم ستة عند البعض أو سبعة وهم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك بن العجلان، وعامر بن عبد حارثة، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابيء، وجابر بن عبد الله بن رباب، وعرض عليهم الرسول ﷺ الإسلام وتلا عليهم القرآن فقبلوا ذلك منه وأثر في قلوبهم ثم عادوا إلى المدينة، حيث ذكروا لقومهم أمر النبي ودعوته إلى الإسلام فأسلم كثيرون منهم.(٥٦) حتى إذا كان العام التالي ٦٢١م/١١ من النبوة لقي الرسول اثنى عشر رجلاً من الأنصار عند العقبة وبايعوه بيعة عرفت باسم بيعة العقبة الأولى أو بيعة النساء.(٥٧) ويبدو أن ثيوفانيس خلط هنا بين الأوس والخزرج وهما من القبائل العربية المقيمة في يثرب، وبين قبائل اليهود، التي كانت مقيمة هناك أيضاً وتُناصر الأوس والخزرج، فقد كان بنو قريظة وبنو النضير حلفاء الأوس، وبنو قينقاع حلفاء الخزرج.(٥٨) ومن الأخطاء التي وقع فيها ثيوفانيس قوله:«. . .وبقوا معه حتى مقتله أي الرسول .. وهذا غير صحيح لأن الرسول توفي وهو على فراشه، بعد فترة من المرض، ولم يقتل كما يذكر ثيوفانيس في هذا الموضع.(٥٩) ويبدو هنا أن هذه العبارة خطأ في الترجمة انزلق إليه سيريل مانجو وروجر سكوت، والمقصود كما يقول كدرينوس، الذي يسير على نهج ثيوفانيس، أنهم «. . .بقوا معه حتى الموت».(٦٠)

وأخيراً ينتقل ثيوفانيس للهجوم على القرآن الكريم نفسه من خلال مفهوم الجنة في الإسلام، وهي قضية دينية خاض فيها المستشرقون المحدثون، وكالعادة فإننا نقابل ثيوفانيس كواحد من أقدم الكتاب المسيحيين الذين أثاروا هذه القضية في الجدل بين المسيحية والإسلام. ولا نود الخوض في هذه القضية الجدلية بين أنصار الفريقين حتى لا نخرج عن الإطار التاريخي لموضوع البحث.(٦١)

على أية حال، يستهل ثيوفانيس روايته عن هذه الفتوحات من خلال حديثه عن سرية مؤته التي وقعت في عام ٨هـ/٦٢٩م، عند قرية مؤتة، على أطراف الشام الجنوبية، غير أنه يضعها في العام الأول من عهد أبي بكر الصديق، في عام ٦٣٠م/٩هـ.(٦٢) ويقص ثيوفانيس روايته عن غزوة مؤتة على النحو التالي:

«كان محمد، الذي توفي منذ عهد قريب، قد عين أربعة من الأمراء لقتال هؤلاء العرب الذين كانوا يدينون بالمسيحية، وقد وصلوا عند قرية تسمى موخايا Mouchaea ، حيث كان يعسكر عندها الفيكاريوس Vicarius ثيودور، على أمل أن ينقض على العرب يوم تقديمهم القرابين لأصنامهم. وعندما علم الفيكاريوس بهذه الأخبار من رجل قرشي Koraishite يدعى Koutabas ،(٦٣) كان يعمل لحسابه، جمع كل حشود قواته من حراس الصحراء؛ وعندما تأكد من ذلك العربي عن اليوم وساعة الهجوم المرتقبة، قام بمهاجمتهم بنفسه عند قرية تسمى مؤتة Mothous ، وقتل ثلاثة من قادتهم وأباد معظم الجيش. وتمكن واحد من هؤلاء الأمراء ويسمى خالد، ويدعونه سيف الله ، من الهرب.» (٦٤)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عند هذه النقطة يتوقف حديث ثيوفانيس عن غزوة مؤته، ولنأت إلى تحليل هذه الرواية التي تحتوي على عدة أخطاء تاريخية، فقد وقعت الغزوة في عهد الرسول ﷺ في عام ٨هـ/٦٢٩م وليس في عهد أبي بكر الصديق أو في عام ٩هـ/٦٣٠م.(٦٥) ويشير ثيوفانيس إلى أن سبب غزوة مؤته كان قتال العرب المسيحيين القاطنين بالشام، ولا نعرف هل كان يقصد الغساسنة هنا أم من؟ غير أن الرواية العربية تشير إلى أن سبب هذه الغزوة أن الرسول صلي الله عليه وسلم كان قد أرسل رسوله الحارث بن عمير الأزدي إلى عامل هرقل (٦١٠–٦٤١م) على بُصرى يدعوه للإسلام، غير أن رجلاً من الغساسنة يدعى شرحبيل بن عمرو الغساني قتل رسولَ رسولِ الله ﷺ، فما كان من الرسول ﷺ إلا أن أمر بتجهيز حملة عسكرية وضع على رأسها زيد بن حارثة، وقد اشترك فيها أيضاً جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وخالد بن الوليد وغيرهم. وعلى أثر هذا العمل أصبحت المواجهة حتمية بين المسلمين والبيزنطيين في بلاد الشام. وهنا يقدم ثيوفانيس معلومة مهمة تشير إلى تعاون ما، تم بين قريش وبين ثيودور، الوالي البيزنطي بالشام، حيث زودوه بأخبار الجيش الإسلامي الخارج لقتال البيزنطيين؛ وهي معلومة تبدو حقيقة، لاسيما وأن التجارة والعداء لمحمد ﷺ كانا العاملان اللذان يجمعان بين قريش والبيزنطيين بالشام. ومن ثم رابطت القوات البيزنطية بالآلاف عند مآب، عندما وصلتها الأنباء بتحرك الجيش الإسلامي ووصوله إلى معان، حيث تحركت والتقى الطرفان عند مؤتة. وقد قام الوالي ثيودور بهجوم ناجح ضد الجيش الإسلامي وقتل من قادته زيد بن حارثه وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، عدا خالد بن الوليد، الذي تمكن من النجاة بجزء من الجيش والعودة به إلى المدينة سالماً.(٦٦) وهذا فيه اتفاق بين ثيوفانيس والمصادر العربية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا، فإن سبب غزوة مؤتة كان تأديب والي بُصرى والثأر لمقتل رسول الله، وليس الإغارة على العرب المسيحيين، كما ادعى ثيوفانيس؛ أو ربما بسبب مقتل والي معان، فروة بن عمرو الجذامي، الذي كان قد دخل الإسلام وأقام علاقات مع المسلمين دون الحصول على إذن من بيزنطة.(٦٧) ومع هذا تعتبر رواية ثيوفانيس عن غزوة مؤته هي الشاهد الفريد الواضح باليونانية عن المعركة والوضع الذي كان قائماً شرقي نهر الأردن، بعد استعادة السلطة البيزنطية هناك؛ (٦٨) كما أنها تقدم الدليل الحي على سبب هزيمة المسلمين في مؤته، وهو ما تصمت عنه المصادر العربية. ولا نعرف السبب الذي جعل ثيوفانيس يخلط بين العرب المسلمين وبين القبائل العربية، التي كانت تهاجم فصائل منها حدود الشام الجنوبية من حين لآخر، لسبب أو لآخر، سواء المسيحية منها أو المشركة. ويشير ثيوفانيس إلى نقطة مهمة أيضاً وهي العرب الذين كانوا يعملون لصالح بيزنطة، وإلى التعاون الذي كان قائماً بينهم وبين البيزنطيين ضد المسلمين.

وفي موضع آخر يشير ثيوفانيس إلى أن «. . . بعض العرب المجاورين للبيزنطيين كانوا يتقاضون رواتباً قليلة من الأباطرة مقابل حراسة التخوم القريبة من الصحراء. . .» (٦٩) وبهذا كان من الطبيعي أن يظهر من بين العرب الحدوديين من يعمل لصالح البيزنطيين ويبلغهم بتحركات القوات الإسلامية، مما جعل البيزنطيين يعدون العدة جيداً للقوات الإسلامية عند

مؤتة. ويشير أيضاً إلى أن هذه الرواتب قد انقطعت في عهد الإمبراطور هرقل، على أثر الأزمة الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد آنذاك، فقد ذهب ذات يوم أحد خصيان الإمبراطور لتسليم الرواتب للجند بالشام، وعندما قدم العرب ليحصلوا على رواتبهم، طبقا للعادة، قام هذا الخصي بطردهم قائلا لهم: «إن الإمبراطور يستطيع بالكاد دفع رواتب جنوده، وهي الأقل بكثير مما يمنحه لهؤلاء الكلاب». (٧٠) وكان من نتيجة ما فعله هذا الخصي أن انقلب هؤلاء العرب على الإمبراطور البيزنطي، وقرروا التعاون مع ذويهم من بني جنسهم، حيث قادوهم إلى إقليم غزة الغني، الذي يعد بوابة الصحراء إلى جبل سيناء. (٧١) وهكذا، يشير ثيوفانيس إلى نوع من التوتر في العلاقات بين القبائل العربية الحدية، التي كانت تعمل على مراقبة وحماية حدود بيزنطة الشامية الجنوبية، مقابل هذه الرواتب، (٧٢) وبين الإمبراطور البيزنطي، مما سيكون له أكبر الأثر عند دخول المسلمين إلى بقية أنحاء بلاد الشام.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن من هم هؤلاء العرب الذين كانوا يتلقون رواتبا قليلة من الإمبراطور وأشار إليهم ثيوفانيس؟ هل هم الغساسنة أم قبائل عربية أخرى حدية؟

من المعروف أن الحارث بن جبلة كان أول أمراء بنى جفنة وأعظمهم شأناً بلا منازع وقد اختاره الإمبراطور جستنيان (٥٢٧–٥٦٥م) حوالي عام ٥٢٨م ليكون بجانبه ضد المنذر ملك الحيرة. ولقد رفع جستنيان الحارس إلى مرتبة الملوك وبسط سيادته على كثير من قبائل العرب بالشام حتى يقيم خصماً قوياً في وجه المنذر ملك الحيرة؛ (٧٣) بل أصبح سيداً على كل القبائل العربية من الفرات حتى البحر الأحمر. (٧٤) وتقول المصادر البيزنطية أن الإمبراطور أسبغ على الحارث لقب بطريق Patricius (٧٥) او رئيس قبيلة Phlarch Phalarch (٧٦) ويبدو أن إمارة الغساسنة قد بلغت شأناً عظيماً في عهد الحارث بن جبلة، ليس بسبب الألقاب البيزنطية الشرفية التي حملها، ونفهم هذا من عبارة وردت عند يوحنا الافسوسى عندما أراد خدم الإمبراطور جستين الثاني (٥٦٥–٥٧٨م) أن يخيفونه، بعد أن أصيب بلوثة عقلية جعلته يهذى ويصرخ، فقالوا له «اهدأ، هاهو الحارث بن جبلة قادم إليك»، عندئذ أسرع جستين الثاني ليختبئ أسفل السرير ويتشبث بأحد أركانه. (٧٧)

لقد أصبح الغساسنة قوة ذات شأن تعمل كمعاهدين لبيزنطة، فرضت سيادتها على كل القبائل العربية القاطنة بالشام. وقد لعبوا دورا مهما في الحياة الاقتصادية في تلك المنطقة في القرن السادس الميلادي، حيث كان طريق التوابل الواقع غربي شبه الجزيرة العربية واحدا من الشرايين العظمى للتجارة العالمية آنذاك، والذي كان يعيش حوله الغساسنة، لاسيما عند الطرق التجارية المؤدية إلى مدينة بُصرى وغزة (٧٨).

وقد حالف الغساسنة البيزنطيين محالفة الند للند ضد الفرس والعرب المغيرين علي أطراف دولتهم واشترطوا أن يمدوهم بثلاثين أو أربعين ألفاً إذا حاربهم العرب، وأن يمدوا البيزنطيين بعشرين ألفاً من المقاتلين إذا تحاربوا مع الفرس.. غير أن التوتر أصاب العلاقات البيزنطية الغسانية على عهد المنذر بن الحارث بن جبلة (٥٦٩ – ٥٨٢م). لعدة أسباب منها الاضطهاد الدينى الذى مارسه جستين الثانى ضد المسيحيين المونوفيزيين، الذين كان ينتمى إليهم الغساسنة (٧٩)

ومن ناحية ثانية كان الإمبراطور جستين الثانى قد دبر مؤامرة للتخلص من المنذر بن الحارث، كان مصيرها الفشل (٨٠) مما جعل الغساسنة يشقون عصا الطاعة على البيزنطيين لمدة ثلاث سنوات. وكان الإمبراطور جستين الثانى قد غضب على المنذر بن الحارث بن جبلة وقطع عنه الإعانة المالية التى كان يرسلها إليه من القسطنطينية، إلا أن بعد اجتماع المنذر بالبطريق جستنيان ممثل الإمبراطور جستين الثانى، تم التفاهم بين الطرفين وعادت المياه بينهما إلى سالف عهدها(٨١).

بيد أنه عندما توفي الإمبراطور جستين الثاني عام ٥٧٨م حاول خليفته الإمبراطور تيبريوس (٥٧٨-٥٨٢م) أن يكسب ولاء الغساسنة تلبية لمقتضيات الحرب ضد الفرس. وقد زار المنذر بن الحارث القسطنطينية في عهد هذا الإمبراطور، حوالي عام ٥٨٠م، بصحبة اثنين من أبنائه، حيث استقبله الإمبراطور وأكرم وفادته. غير أنه عندما عاد المنذر إلى بلاد الشام شك تيبريوس في ولاءه متهما إياه بالاتصال بالفرس، فدبر مؤامرة تمت بنجاح في إحدى كنائس حوران عام ٥٨١م، وحمل المنذر أسيراً إلى القسطنطينية حيث أدين بالخيانة ونفي إلى صقلية. وفي نفس الوقت أصدر تيبريوس الأمر بوقف المعونات المالية السنوية التي كانت بيزنطة تمنحها للغساسنة.(٨٢)

وقد كان لهذا السلوك البيزنطي تجاه حلفائهم من العرب أكبر الأثر في التوتر بين الطرفين، حيث شق النعمان بن المنذر بن الحارث بن جبلة عصا الطاعة على الإمبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م)، غير أن الأخير تمكن بالحيلة والغدر من القبض عليه وإرساله إلى القسطنطينية أيضاً. وقد أعقب هذا حالة من الفوضى والاستياء بين عرب الشام تجاه البيزنطيين، الذين فقدوا ولاء عرب الشام لهم.(٨٣) ويمكن القول أن الغساسنة كما وقفوا بجانب البيزنطيين في حروبهم ضد الفرس في عهد الإمبراطور جستنيان الأول ومن بعده الإمبراطور تيبريوس (٥٨٧-٥٨٢م) وموريس (٥٨٢-٦٠٢م)، (٨٤) لعبوا نفس الدور أيضاً في عهد الإمبراطور هرقل في حروبه ضد المسلمين إلى أن فتحت أراضيهم وأسلم معظمهم.(٨٥)

وهكذا، قد يبدو للوهلة الأولى أن ثيوفانيس كان يقصد «بالعرب الحدوديين» الذين قطع هرقل الرواتب عنهم الغساسنة، خاصة وأن الأحداث التاريخية تعكس لنا أن العلاقة بين البيزنطيين والعرب الغساسنة لم تكن على ما يرام طوال الوقت، بل كثيراً ما كان يشوبها التوتر الذي وصل في أكثر من مرة إلى حد شق عصا الطاعة على بيزنطة. غير أن موقف جبلة بن الأيهم الغساني إلى جانب هرقل في معركة اليرموك، وإصراره على قتال المسلمين، كما سنرى، يشير إلى أنهم ليس هم العرب الذين قصدهم ثيوفانيس، الذين انقلبوا على هرقل وساعدوا أبناء ذويهم عند دخولهم إلى غزة. وهذا يدفعنا للقول أنه ربما قصد قبائل عربية أخرى، كانت تعيش على أطراف الشام، وليس الغساسنة، أصحاب السيادة العربية في بلاد الشام، والقيادة العسكرية العظمى التي أسسها جستنيان هناك تحت سيادتهم منذ عام ٥٣٠م؛ (٨٦) والتي جمعت تحت قيادتها قبائل لخم وجذام وبلقين وبلي العربية، وهي قبائل من قضاعة وغسان.(٨٧) ومن المحتمل أن تلك القبائل التي أشار إليها قد أقامت في تجمع خاص بها بالقرب من غزة.(٨٨)

على أية حال، ينتقل ثيوفانيس بعد ذلك إلى عهد أبي بكر الصديق، فيشير تحت أحداث عام ٦٣١-٦٣٢م، إلى حملة عسكرية أرسلها أبو بكر الصديق، في العام الثاني من حكمه، بقيادة أربعة من القادة المسلمين، إلى الحيرة وإقليم غزة، الذي استولوا عليه، بعد أن أرشدتهم عناصر عربية [عن طرقه ومسالكه.] وقد صل القائد البيزنطي سرجيوس ومعه ما يقرب من ثلاثمائة جندي من قيصرية فلسطين، بصعوبة بالغة، لصد المسلمين؛ فدخل في معركة معهم، كان هو أول قتلاها، وانتهت بهزيمة جنوده. وبعد هذا الانتصار المبهر عاد المسلمون إلى ديارهم سالمين فائزين محملين بالغنائم والأسرى.(٨٩)

وعند مناقشتنا لهذه الرواية، إذا أقررنا بأنها تنتمي إلى عهد أبي بكر الصديق، استناداً إلى تعيينه أربعة من قادة المسلمين من أجل الفتوح الخارجية في الشام والعراق، فإن التاريخ الذي وضعه ثيوفانيس هنا خاطئ تماماً، لأن الرسول ﷺ توفي في عام ١١هـ/٦٣٢م،(٩٠) وهو نفس العام الذي تولى فيه أبو بكر الصديق الحكم.(٩١) وهنا يغفل ثيوفانيس الحديث عن غزوة تبوك ٩هـ/٦٣٠م، وحملة أسامة بن زيد بن حارثة على مشارف الشام عام ١١هـ/٦٣٢م؛ (٩٢) وينتقل مباشرة إلى الحديث عن بدايات الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام والعراق، مستهلاً روايته عنها بالحديث عن دخول يزيد بن أبي سفيان إلى حدود الشام الجنوبية، أو بالتحديد إلى إقليم غزة، على حد ذكره، دون أن يذكر اسم يزيد صراحة، كواحد من القادة الأربعة الذين أخرجهم أبو بكر الصديق لتولي حركة فتوح الشام والعراق.

جدير بالذكر أن حملة أسامة بن زيد على مشارف الشام، عند مؤتة، انتهت بانتصاره وعودته سالماً غانماً في أولى سني عهد أبي بكر الصديق؛ غير أن الإمبراطور هرقل حشد جيوشه في منطقة البلقاء على الحدود بين العرب والبيزنطيين، ولما علم أبو بكر بهذا أعد جيشاً ضخماً دعى له جميع المقاتلين المسلمين في الجزيرة العربية، عام ١٣هـ/٦٣٤م، وولى إمرة هذا الجيش إلى أربعة من القادة، ولكل قائد منهم منطقة معينة يتجه إليها على النحو التالي: (٩٣)

أبو عبيدة بن الجراح، ووجهته حمص ومركز القيادة فى الجابية.

عمرو بن العاص ووجهته فلسطين.

يزيد بن أبى سفيان، ووجهته دمشق

شرحبيل بن حسنة، ووجهته منطقة الأردن.

وطبقا للرواية العربية فقد أمرهم أبو بكر الصديق بأن يتعاونوا سوياً، وأن يكونوا جميعاً تحت إمرة أبى عبيدة بن الجراح، وأن يستقل عمرو بفتح فلسطين؛ وأن يدعم الجيوش الأخرى إذا دعت الحاجة إلى ذلك.(٩٤) وقد رسم أبو بكر الصديق الخطة لأبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص، والتي سارا بمقتضاها إلى فلسطين عن طريق أيلة، حيث نزل عمرو بن العاص بمنطقة وادي عربة أو غمر العربات؛ أما يزيد وشرحبيل بن حسنة فكان عليهما أن يسلكا طريق تبوك، ومنها يتجه كل منهما إلى المدينة المكلف بفتحها.(٩٥)

وتتفق رواية ثيوفانيس في هذا الخصوص مع الرواية العربية، بينما يجعل أغابيوس المنبجي جيشاً من هذه الجيوش الأربعة قد أرسل لقتال نصارى العرب.(٩٦)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجدير بالذكر أن المؤرخ الأرمني جيفوند، مؤرخ القرن الثامن الميلادي، يشير إلى أن أهل فلسطين هم الذين دعوا العرب للإسراع بمساعدتهم وتخليصهم من اضطهاد البيزنطيين الديني، وأنه عقب تحرير أراضيهم سيشتركان في إدارة البلاد معاً. ومن ثم تشجع العرب، بناءً على هذا الاقتراح، وقرروا فتح فلسطين.(٩٧) غير أن الثابت من خلال المصادر العربية وحولية ثيوفانيس أيضاً أن خطة الفتوح الإسلامية خارج الجزيرة العربية كانت تتبع منهجاً منظماً يهدف إلى نشر الإسلام وضم تلك البلاد إلى دار الإسلام، وقد خرجت الجيوش الأربعة طبقاً لهذه الخطة. وربما قصد جيفوند هنا القبائل العربية التي انقلبت على هرقل وقررت مساعدة العرب في فتح فلسطين؛ ولو صح هذا الافتراض تصبح هناك صلة بين رواية جيفوند وثيوفانيس بهذا الصدد.

وتجدر الإشارة إلى أنه وقعت عدة اشتباكات متفرقة بين المسلمين والبيزنطيين، أولها كان اشتباكاً بين القوات الإسلامية بقيادة يزيد بن أبي سفيان والقوات البيزنطية بقيادة سرجيوس، بطريق فلسطين، بقرية من قرى إقليم غزة يقال لها داثن، وانتهت بهزيمة البيزنطيين وانسحابهم إلى غزة. وبينما يزيد يطارد فلول البيزنطيين جاءه خبر أن حشوداً بيزنطية اجتمعت في وادي عربة، جنوب البحر الميت، فسَيّر إليها قائداً من قواده يسمى أبو أمامة الصدي الباهلي، حيث تمكن من الإيقاع بهم وقتل أحد قوادهم.(٩٨) ويعلق المؤرخ الأمريكي «والتر كيجي» على انتصار المسلمين على البيزنطيين في داثن أنه أزاح كل حاجز عسكري جدي من طريق المسلمين، حيث أصبح الهجوم على جنوبي فلسطين وفقا لإرادة المسلمين.(٩٩)

وهكذا، تتفق رواية ثيوفانيس مع الرواية العربية في تعيين أبي بكر الصديق لأربعة من القادة المسلمين على رأس القوات الإسلامية المتجهة إلى الفتوح خارج الجزيرة العربية، بينما يذكر ثيوفانيس اسم «سرجيوس»، قائد القوات البيزنطية في فلسطين، الذي قتله المسلمون آنذاك.(١٠٠)

على أية حال، ينفرد ثيوفانيس دون المصادر المعاصرة بالقول أنه بعد «هذا الانتصار المبهر عاد المسلمون إلى ديارهم سالمين فائزين محملين بالغنائم والأسري»؛ ويشير أيضاً إلى أن سبب عدم توغل قوات يزيد بن أبي سفيان في إقليم غزة، كان بسبب وقوع زلزال آنذاك وظهور ظواهر ضوئية في السماء، كانت تتحرك هالاتها من الجنوب إلى الشمال، لمدة ثلاثين يوما، وهو ما أشار إليه أغابيوس المنبجي أيضاً.(١٠١) بيد أن الواقع كان غير ذلك، فقد كان يزيد بن أبي سفيان معنياً بفتح دمشق وليس التغلغل في إقليم غزة، وهو جزء من أرض فلسطين، المكلف بفتحها عمرو بن العاص وليس يزيد بن أبي سفيان؛ ومن ثم كان عليه التوجه لتنفيذ ما أمره به أبي بكر الصديق، وليس العودة إلى الجزيرة العربية، وهو الجزء الذي لم يصب فيه ثيوفانيس.

ويعود ثيوفانيس إلى القول أن أبا بكر الصديق توفي في عام ٦٣٢م/١١هـ، بعد أن حكم عامين ونصف العام، وتولي عمر بن الخطاب الحكم بعده. بيد أن روايته عن الفتوح الإسلامية

لبلاد الشام في هذه الفترة يشوبها الخلط والتشويش، مثلما أصاب روايته التاريخية عن تاريخ وفاة أبي بكر الصديق. وفي هذا المقام يذكر ثيوفانيس ما يلي: (١٠٢) «مات أبو بكر الصديق في هذا العام، بعد أن تولى الحكم لمدة عامين ونصف العام، وخلفه عمر في السلطة. وقد أرسل (حملة ضد الجزيرة العربية) واستولى على مدينة بُصرى وغيرها من المدن. وتقدم الجيش حتى وصل إلى الجابية. وقد التحم معهم ثيودور، شقيق الإمبراطور هرقل، غير أنه هزم منهم، ومن ثم جاء إلى هرقل في الرها. وقد عين الإمبراطور قائداً آخر يدعى بانيس وأرسل السَكيلاريوس (١٠٣) ثيودور (١٠٤) على رأس جيش الروم ضد العرب. (١٠٥) وعندما جاء إلى حمص، قابل حشداً كبيراً من العرب، حيث قتلهم وقتل معهم أميرهم؛ وطارد البقية الباقية منهم حتى وصلوا إلى دمشق؛ وعسكر هناك عند نهر بردى. أما هرقل فقد ترك بلاد الشام بعد أن أخذ الصليب المقدس معه من بيت المقدس، وعاد إلى القسطنطينية. وقد وجه بانيس والسَكيلاريوس ثيودور من دمشق إلى حمص على رأس جيش قوامه أربعون ألف مقاتل، وهم الذين طاردوا العرب من حمص إلى دمشق».

بهذا الوصف أنهى ثيوفانيس تقريباً حديثه عن الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام في عهد أبي بكر الصديق، ثم انتقل إلى عهد عمر بن الخطاب؛ وكان حديثه كالعادة مشوشاً وبه بعض الأخطاء التاريخية، ويحتاج إلى الفحص التاريخي الدقيق، حتى نستخلص منه الحقيقة. يتحدث هنا ثيوفانيس عن فتح بُصرى، والجابية وغيرها من المدن دون تحديد، ثم موقعة اليرموك. وتظهر أولى أخطاء ثيوفانيس في تاريخ وفاة أبي بكر الصديق ومدة حكمه، حيث جعل وفاته في عام ١١هـ/٦٣٢م، وهو العام الذي توفي فيه الرسول ﷺ وليس أبي بكر الصديق. ومن المعروف أن أبا بكر الصديق حكم لمدة عامين وثلاثة أشهر وعشرة أو اثنتا عشرة يوم، وليس عامين ونصف العام، وتوفي عام ١٣هـ/٦٣٤م. (١٠٦)

أما عن الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام في روايته السابقة فمن المعروف للمؤرخين، طبقا للمصادر العربية، أنه عندما كان عمرو بن العاص يفتح فلسطين كان أبو عبيدة بن الجراح يجاهد بجيوشه في بلاد الشام محاولاً فتح مدنها، لكن بالرغم من بسالة القوات الإسلامية إلا أنها عجزت عن صد قوات الروم، خاصة الحملة التي أرسلها أبو عبيدة إلى مدينة بُصرى. وأمام هذا كله راسل أبو عبيدة بن الجراح الخليفة ليمده بالمدد والمساعدات العسكرية، فأرسل الخليفة أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد يأمره بترك العراق والتوجه إلى بلاد الشام لمساعدة الجيوش الإسلامية التي كانت تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح. وترك خالد ابن الوليد المثنى بن حارثة في العراق، وأخذ شطراً من جنده وتوجه إلى بلاد الشام، حيث وصل إلى بُصرى وعليها شرحبيل بن حسنة ويزيد بن معاوية وأبو عبيدة بن الجراح، وقد اشترك معهم في حصارها؛ واستطاعوا بعد قتال شديد مع القوات البيزنطية بالشام أن يستولوا على مدينة بُصرى بفضل مساعدة واليها رومانوس الذي اعتنق الإسلام، والذي دلهم على سرداب للدخول منه إلى المدينة. (١٠٧) وبهذا تتفق رواية ثيوفانيس عن فتح المسلمين لبُصرى مع الرواية العربية، والتي يتفق مؤلفوها على تمكن المسلمين من السيطرة على المدينة التجارية المهمة جنوب بلاد الشام.

وقد تمكن المسلمون بعد سقوط بُصرى من التغلغل في بطون الشام، حيث ذهب خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان وأبو عبيدة بن الجراح لنجدة عمرو بن العاص، الذي كان موجودا بوادي عربة (غمر العربات)، حيث اجتمعت الجيوش الإسلامية جميعاً عند أجنادين والتحمت مع القوات البيزنطية بقيادة ثيودور، أخو الإمبراطور هرقل، وليس روبيس كما يذكر الواقدي،(١٠٨) في يوليو ٦٣٤م/جمادى الآخر ١٣هـ، غير أنها منيت بهزيمة ثقيلة من المسلمين؛ (١٠٩) الأمر الذي أصاب البيزنطيين بالإحباط وجعلهم ينسحبون نحو دمشق وحمص وغيرهما. وهنا يشير المؤرخ الأرمني سيبيوس إلى واقعة أجنادين ويبين كيف انقض العرب على البيزنطيين وأعملوا فيهم السيف.(١١٠)

ويشير ثيوفانيس في هذا الجزء من الأحداث إلى انسحاب القوات البيزنطية شمالاً وتحصنها بأسوار المدن، وبالطبع لحقت بها الجيوش العربية، حيث التقت بها عند الجابية، ودار القتال بين الطرفين، كمرحلة تمهيدية من نهاية القتال، أدت في المطاف إلى معركة اليرموك. وفي هذه المرحلة من القتال عند الجابية، التي ربما تولاها ثيودور أخو الإمبراطور هرقل، الذي هزم فيها مما اضطره إلى الانسحاب والذهاب إلى هرقل في الرها، حسب رواية ثيوفانيس،(١١١) ربما لمناقشة الوضع العسكري معه. وتبدو هنا إشكالية تاريخية وهي أن البلاذري (١١٢) يذكر أن هرقل كان مقيماً في حمص آنذاك، وليس الرها كما يذكر ثيوفانيس، ولما انهزم البيزنطيون في أجنادين وبلغه الخبر نقل مقر إقامته إلى أنطاكية. ونظرا لتضارب الروايات حول هذا الموضوع فسوف نرجئ نقاشها إلى ما بعد الانتهاء من الحديث عن معركة اليرموك.

وتجدر الإشارة إلى أن هرقل أقصى أخيه ثيودور عن الجيش وأرسله إلى القسطنطينية، بعد أن بلغه نبأ سبه له،(١١٣) أو بسبب هزيمته أمام المسلمين. ومن ثم أدخل تعديلاً في القيادة العامة للقوات البيزنطية حيث أرسل السكيلاريوس ثيودور، المعروف باسم ترايثيريوس Trithyrios ، أي أمين الخزانة، بدلاً من أخيه ثيودور لقيادة الجيوش في الشرق؛ (١١٤) كما عين معه في القيادة العامة أيضاً بانيس، على حد قول ثيوفانيس، الذي ينفرد بذكر اسمه.(١١٥) ولا شك أن التعديل الذي أدخله ثيوفانيس في القيادة العامة للقوات البيزنطية في الشام كان دليلاً على خطورة الموقف العسكري هناك، وتحرج موقف البيزنطيين أمام العرب.

وعندما علم المسلمون بتجهيزات هرقل العسكرية وتعديله في القيادة، أتفق القادة المسلمون على التجمع بجيوشهم في اليرموك(١١٦)، حتى تتوحد قواتهم ضد القوات البيزنطية(١١٧). وقد أوصى الإمبراطور هرقل أحد قادته ويدعى باهان أو ماهان، وهو أرمني الأصل، بالاتصال بالمسلمين لطلب الصلح، فأرسل إليهم جبلة بن الأيهم ملك الغساسنة ليفاوضهم، وكان المسلمون مازالوا تحت قيادة أبى عبيدة بن الجراح الذي رفض مطالب البيزنطيين، إلا بعد استيلائه على بلاد الشام وفلسطين. كما أرسل أبو عبيدة

رسلاً إلى جبلة بن الأيهم يؤنبونه لانضمامه إلى البيزنطيين ضد بني جلدته، وينصحونه بأن يكف عن قتال المسلمين وينضم إليهم؛ غير أن هذا لم يزده إلا مكابرة.(١١٨) وهذا النوع من المفاوضات بين الطرفين والذي أشار إليه الواقدي، مؤكد عند سيبيوس، مؤرخ القرن السابع الميلادي، في الوقت الذي أغفله ثيوفانيس، حيث يقول سيبيوس أن العرب هم الذين أرسلوا سفارة إلى الإمبراطور البيزنطي هرقل يطالبونه فيها بالتنازل لهم عن الأ راضي التي احتلتها بيزنطة حتى يعم السلام بين الطرفين، وإلا سيقوم العرب باجتياحها، واستعادتها بالقوة.(١١٩) ويوضح سيبيوس وجهة نظر العرب في ذلك بقولهم لهرقل «أن الله منحنا هذه البلاد كملكية متوارثة لإبراهيم، ولأبنائه من بعده. ونحن أبناء إبراهيم. وإنه لشيء كثير أن تستولي علي بلادنا. فلترحل في سلام، وإلا سنطالبك بكل ما استوليت عليه». وقد رفض هرقل هذا، ولم يول هذه الرسالة أي اهتمام في الرد باستثناء قوله لهم «هذه البلاد ملك لي، أما ميراثكم فهو الصحراء، فلتذهبوا في سلام إلى بلادكم».(١٢٠) وهكذا تعكس الروايات الأخيرة كيف أن العرب كانوا ينظرون إلى بلاد الشام على أنها أرض عربية، ينبغي أن تعود إليهم. وهكذا يمكن أن تصبح هذه الرؤية عاملا جديدا من العوامل التي دفعت المسلمين لفتوح الشام.

على أية حال، عندما وصل خالد بن الوليد من العراق إلى اليرموك، بناءً على أمر أبي بكر الصديق، تولى القيادة هناك حيث رتب الجيوش الإسلامية على النحو التالي: أبو عبيدة بن الجراح على قلب الجيش، وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة على الميمنة، ويزيد بن أبى سفيان على الميسرة؛ في الوقت الذي جهز فيه هرقل ما يقرب من سبعين ألف مقاتل لمواجهة العرب. (١٢١) وفي هذه المرحلة الحرجة من تاريخ معركة اليرموك جاء البريد من المدينة إلى خالد بن الوليد فأبلغه بنبأ وفاة أبي بكر الصديق في ليلة النصف من جمادى الثاني عام ١٣هـ/٦٣٤م، وخلافة عمر بن الخطاب، كما أبلغه بنبأ عزله عن إمارة الجيش وتولية أبي عبيدة بن الجراح؛ (١٢٢) غير أن خالد أخفى كل هذه الأخبار،(١٢٣) حرصاً على وحدة المسلمين، إلى أن تنتهي المعركة. ودارت رحى القتال بين الجانبين وظلت دائرة سجالاً بينهما إلى أن جاء يوم الواقوصة/الياقوصة، الذي اشتد فيه القتال بين المسلمين والبيزنطيين، وفيه خسر البيزنطيون آلافاً من خيرة جنودهم؛ وانتهت المعركة بهزيمة البيزنطيين هزيمة ساحقة.(١٢٤)

وتجدر الإشارة إلى أن جبلة بن الأيهم الغساني اصطحب معه عدداً من أتباعه ومن الأسر العربية التابعة له وعبر الحدود إلى أراضي الدولة البيزنطية، وهو متأثر أشد الأثر لفقدان نفوذه بضياع موطنه بلاد الشام(١٢٥). وتقول الرواية العربية أن عمر بن الخطاب عرض عليه الإسلام وأداء الصدقة فأبى ذلك وقال أقيم على ديني وأؤدي الصدقة فقال عمر إن أقمت على دينك فأد الجزية فانف منها. فقال عمر ما عندنا لك إلا واحدة من ثلاث إما الإسلام وإما أداء الجزية وإما الذهاب إلى حيث شئت فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفا(١٢٦).

وعلى الرغم من أن ثيوفانيس لا يسرد كل هذه التفاصيل إلا أنه يشير في الجزء الأول من روايته عن الفتوح الإسلامية للشام إلى أن هرقل أخذ الصليب المقدس من بيت المقدس وترك بلاد الشام وكر عائداً إلى القسطنطينية.(١٢٧) ويضع هذا الحدث خطأ قبل انتهاء معركة اليرموك، ويغفل القول أن هرقل ذهب من حمص إلى أنطاكية، قبل فراره النهائي إلى القسطنطينية.(١٢٨)

وفي هذه المرحلة من الفتوح يزودنا ثيوفانيس بتفاصيل جديدة عن أسباب هزيمة البيزنطيين في اليرموك، تختلف نسبياً عن التي نستشفها من المصادر العربية، حيث يقول: «وفي هذا العام (٦٣٣-٦٣٤م) انطلق جمع غفير من السراقنة (١٢٩) من الجزيرة العربية، وشنوا حملة على إقليم دمشق. وعندما علم بانيس بهذا، أرسل رسالة إلى السكيلاريوس الإمبراطوري، يطلب فيها منه أن يأتي بجيشه لنجدته، حيث كان يرى أن عدد العرب كثيف جداً. لذلك لحق السكيلاريوس ببانيس وانطلقوا من حمص لمواجهة العرب. وبدأ اليوم الأول من المعركة في يوم الثلاثاء الموافق الثالث والعشرون من شهر لوُز (= يوليو) حيث هزمت قوات السكيلاريوس. وهنا أعلنت قوات بانيس التمرد وأعلنت الأخير إمبراطوراً، حيث لعنوا هرقل. وعندئذ انسحبت قوات السكيلاريوس، وهنا انتهز العرب الفرصة واشتبكوا في القتال. وعندما هبت رياح جنوبية في اتجاه الروم، لم يستطيعوا مواجهة العدو بسبب التراب، وهزموا. وألقى الروم أنفسهم في مضايق نهر اليرموك Heirmouchthas، حيث هلك الجميع، وكان تعداد جيش القائدين معاً ٤٠,٠٠٠. وعلى أثر هذا النصر الباهر تقدم العرب صوب دمشق واستولوا عليها؛ بالإضافة إلى إقليم فينيقيا، حيث استقروا هناك، ووجهوا حملة ضد مصر.» (١٣٠)

وقد انهزمت القوات البيزنطية لعدة أسباب، طبقا لرواية ثيوفانيس، وهي:

١- الحالة النفسية المتردية التي أصابت قوات بانيس على أثر هزيمة قوات السكيلاريوس.

٢- العاصفة الترابية التي هبت عليهم وكانت مواجهة لهم، مما أعاق تقدمهم في القتال ضد المسلمين.(١٣١)

٣- انسحاب قوات السكيلاريوس من الميدان، على أثر تمرد بانيس وقواته؛ وربما كان هذا خوفا من اتهام هرقل له بالخيانة إذا استمر في مشاركتهم على هذا النحو.

٤- لعب التمرد الذي تزعمه بانيس دوراً سلبياً فت في عضد القوات المشتركة وأدى إلى إضعافها.

٥- ويضيف المؤرخ الأرمني سيبيوس، مؤرخ القرن السابع الميلادي، أسباباً جديدة لم يذكرها ثيوفانيس منها غزارة رمال أرض المعركة، حتى أن الجندي البيزنطي كان يغوص فيها حتى ركبتيه، في الوقت الذي أخذ المسلمون يطاردون البيزنطيين فيه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦- كما يضيف سيبيوس أن ارتفاع درجة حرارة الشمس كانت من الأسباب التي أودت بالبيزنطيين، حتى أن قتلاهم بلغوا الألفين على حد ذكره.(١٣٢)

٧- وهناك معلومة مهمة ذكرها سيبيوس يمكن أن نستنتج منها تكتيك جديد استخدمه المسلمون لإرهاب البيزنطيين في الميدان، ويعتبر عاملاً من العوامل التي ساعدت على انتصار المسلمين؛ حيث تربص فيلق من جيوش المسلمين في كمائن للبيزنطيين، ونصبوا خيامهم حول معسكرهم، ثم أحاطوا معسكرهم وخيامهم بالجمال، بعد أن قاموا بربط أرجل الجمال بالحبال ببعضها البعض؛ (١٣٣) وذلك حتى لا تتحرك الجمال وتبدو في شكل مهيب يرهب البيزنطيين الذين لم يكونوا قد اعتادوا عليها في المعارك قبل ذلك.

٨- أخيراً يذكر سيبيوس أن البيزنطيين قابلوا القوات الإسلامية وهم مشاة في أرض رملية، بعد أن خارت قواهم بسبب سيرهم لمسافات طويلة قبل لقائهم بالمسلمين.(١٣٤)

٩ - أما المؤرخ الأرمني جيفوند، مؤرخ القرن الثامن الميلادي، فيضيف أن البيزنطيين وقعوا في خطأ فادح، وذلك عندما تركوا خيولهم وأمتعتهم في معسكرهم وابتعدوا عنه لمسافة.١٣٥وربما أدى هذا إلى الفوضى التي وقعت بين صفوفهم، والتي نجم عنها خلل أيضا في التكتيكات الحربية، فأعطى بذلك الفرصة للقوات الإسلامية للتسلل بين قوات الفرسان والمشاة البيزنطيين، وتنزل بهم الهزيمة الساحقة.(١٣٦) وهو الأمر الذي لم يشر إليه ثيوفانيس.

١٠- أما البطريرك نقفور فيسوق أسباباً تختلف عن الأسباب التي ساقها ثيوفانيس للهزيمة وتتمثل في عدم إطاعة ثيودور لأوامر هرقل، حيث أمره الأخير بعدم الدخول في معركة مع المسلمين؛ (١٣٧) وهو ما يتفق مع ما ذكره سيبيوس أيضاً من قوله أن هرقل أسرع بحشد سبعين ألفا من قواته وأسند قيادة الجيش إلى واحد من طواشيته المخلصين وأمره بالزحف نحو بلاد العرب. وأصدر أوامره للجند بألا يخوضوا حرباً ضد العرب، بل عليهم اتخاذ موقف الدفاع لحين اكتمال تعبئة القوات البيزنطية.(١٣٨)

١١- كما يشير نقفور أيضاً إلى سبب مهم وهو الثقة الزائدة عن الحد التي كانت عند القوات البيزنطية، حيث كانوا يؤمنون أن النصر سيكون في جانب الإمبراطور هرقل.(١٣٩)

وهكذا، لم يفلح ثيوفانيس في إجمال الأسباب التي أدت إلى هزيمة البيزنطيين في اليرموك أمام المسلمين، بل نجد أن الأسباب التي ساقها المؤرخ الأرمني سيبيوس تعتبر أكثر أهمية من التي ذكرها ثيوفانيس، وربما الأكثر واقعية أيضاً. كما أغفل ثيوفانيس ذكر الفرقة الأرمنية التي شاركت في القتال إلى جانب القوات البيزنطية. والتي كانت تحت قيادة جيورجيوس.(١٤٠)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على أية حال، لم يحالف ثيوفانيس الصواب عندما قال: «في هذا العام (٦٣٣-٦٣٤م) انطلق جمع غفير من السراقنة من الجزيرة العربية، وشنوا حملة على إقليم دمشق». بينما واقع الأحداث يقول أن المسلمين كانوا آنذاك بالشام، ولم يعودوا إلى الجزيرة العربية حتى ينطلقوا منها ثانية. غير أن ثيوفانيس يكشف حقيقة مهمة وهي أن ثيودور الذي كان يقود القوات البيزنطية في اليرموك كان أمين الخزانة الإمبراطوري (السكيلاريوس) وليس ثيودور شقيق هرقل.

وجدير بالذكر أن ثيوفانيس أشار إلى أن معركة اليرموك حدثت عام ٦٣٣-٦٣٤م/١٢-١٣هـ (١٤١). أما المصادر العربية فقد انقسمت إلى مجموعتين تقول أولهما أنها وقعت في عام ١٥هـ/٦٣٦م(١٤٢)، وتذكر ثانيهما أنها وقعت عام ١٣هـ/٦٣٤م، وهي السنة التي جاء فيها كتاباً من عمر بن الخطاب إلى خالد بن الوليد، وهو في اليرموك مع المسلمين، يعلمه بنبأ موت أبي بكر الصديق وينحيه عن قيادة الجيوش.(١٤٣) فيشير البلاذري (١٤٤) إلى أن نبأ موت أبي بكر الصديق وصل إلى المسلمين وهم مرابطون في الياقوصة، عند اليرموك. أما اليعقوبي (١٤٥) فيؤكد على أن أول شيء فعله عمر بن الخطاب بعد توليته الحكم أن رد سبايا أهل الردة وأرسل كتاباً إلى أبي عبيدة بن الجراح يخبره بنبأ وفاة أبي بكر الصديق ويعقد له ولاية الشام بدلاً من خالد بن الوليد. أما الطبري (١٤٦) فيذكر أن المسلمين كانوا في الواقوصة على ضفة اليرموك، عندما طلبوا المدد من أبي بكر الصديق، في عام ١٣هـ/٦٣٤م، والذي أرسل بدوره إلى خالد بن الوليد في العراق يستحثه على مؤازرة إخوانه في الشام؛ وقد توفي أبو بكر الصديق في ذلك العام، بعد وصول خالد إلى اليرموك. ويحدد ابن الجوزي (١٤٧) التاريخ بدقة أكثر عندما يقول: «كانت وقعة اليرموك في سنة ثلاث عشرة وكانت أول فتح فُتِحَ على عمر بعد عشرين ليلة من أبي بكر رضي الله عنه». أما أغابيوس المنبجي (١٤٨) فيقول أن عمر ابن الخطاب وجه جيوشه في أول سنة من حكمه إلى البلقاء وافتتح بُصرى ومدناً كثيرة وحصوناً، وهو ما تم بمساعدة خالد بن الوليد قبيل اتجاهه إلى اليرموك مباشرة.

وإذا كانت معظم المصادر العربية تتفق على أن نبأ وفاة أبي بكر الصديق وصل إلى المسلمين وهم باليرموك، أي عام ١٣هـ/٦٣٤م، فليس من المعقول أن يظل المسلمون يحاربون ثلاث سنوات في اليرموك، أي حتى عام ١٥هـ/٦٣٦م، وهو الرأي الذي تأخذ به كوكبة أخرى من المؤرخين؛ لاسيما وأن ثيوفانيس يقول أن المعركة بدأت بين الطرفين في «يوم الثلاثاء الموافق الثالث والعشرون من شهر لوُز (=يوليو)».

وفي ختام هذه القضية فإنه من الناحية التكتيكية العسكرية لا يمكن للقوات العربية أن تصول وتجول في فتوح الشام إلا بعد انكسار قوات العدو تماماً، أي قوات الجيش البيزنطي المتأهب لقتالها، وهو ما تم بصورة حاسمة في اليرموك؛ وهو ما يؤكده ثيوفانيس بقوله: «...وعلى أثر هذا النصر الباهر تقدم العرب صوب دمشق واستولوا عليها، بالإضافة إلى إقليم فينيقيا، حيث استقروا هناك...»،(١٤٩) أو كما يقول سيبيوس أن العرب قسموا قواتهم

إلى ثلاثة جيوش، يذهب إحداها لفتح مصر، والثاني إلى الشمال، أي إلى شمال الشام، لقتال البيزنطيين، والثالث إلى فارس.(١٥٠) وبناءً على هذا قد يكون من الأنسب، طبقاً لهذه الشواهد التاريخية، أن تكون معركة اليرموك قد وقعت عام ١٣هـ/٦٣٤م وليس عام ١٥هـ/٦٣٦م أو عام ٦٣٣-٦٣٤م/١٢-١٣هـ.

وتشير المصادر العربية أيضاً إلى اثنين من القادة البيزنطيين في اليرموك، وهما ماهان أو باهان والسفلار أو السقلار أو الصقلار،(١٥١) لعبا دوراً في الأحداث السابقة بين البيزنطيين والمسلمين؛ (١٥٢) وتعكس هذه المصادر أن المؤرخين المسلمين فهموا أن السقلار هو اسم لقائد بيزنطي. بيد أن السقلار (السكيلاريوس) كان لقباً وظيفياً للقائد البيزنطي ثيودور، وهو اللقب الوظيفي الذي يذكره ثيوفانيس مقروناً باسم ثيودور؛ بينما يمكن اعتبار اسم باهان تصحيف لاسم القائد البيزنطي بانيس. وهكذا يصحح ثيوفانيس الخطأ الوارد في الرواية العربية، وأن ثيودور هو السكيلاريوس ثيودور وليس تذراق (ثيودور) أخو هرقل.(١٥٣)

ونعود الآن إلى إشكالية أين كان هرقل أثناء هذا الصراع بين البيزنطيين والمسلمين في بلاد الشام؟

يذكر ثيوفانيس في الجزء الأول من روايته عن فتوح الشام أن هرقل كان موجوداً في الرها عندما جاءه ثيودور، عقب هزيمته في الجابية. ثم يقول أن هرقل أخذ الصليب المقدس ورحل من بيت المقدس إلى القسطنطينية: (١٥٤) ثم يعود ويستكمل حديثه في أحداث السنة التالية عن موقعة اليرموك. أما المؤرخ البيزنطي كدرينوس فيسير على نفس رواية ثيوفانيس دون تغيير.(١٥٥) ونأتي إلى المؤرخين المسلمين حيث يقول الواقدي (١٥٦) أن هرقل رحل من أنطاكية إلى القسطنطينية بحراً، بعد سقوط أنطاكية. أما البلاذري (١٥٧) فيذكر أن هرقل كان بحمص عندما وقعت موقعة أجنادين ١٣هـ/٦٣٤م، ولما هزم البيزنطيون فيها رحل هرقل إلى أنطاكية ليقيم فيها، وقد ظل بالأخيرة حتى بعد هزيمة اليرموك يستنفر البيزنطيين وأهل الجزيرة لقتال المسلمين في فحل بيان.(١٥٨) غير أنه يعود للقول أن هرقل هرب من أنطاكية إلى القسطنطينية عقب هزيمة قواته في اليرموك، على أساس أنه يضع اليرموك في عام ١٥هـ/٦٣٦م.(١٥٩) ويأخذ الطبري والدمشقي بنفس رأي البلاذري، أي هروب هرقل من أنطاكية إلى القسطنطينية بعد هزيمة اليرموك.(١٦٠) أما ابن الجوزي (١٦١) فيذكر أن هرقل جعل مدينة حمص بينه وبين المسلمين، بعد هزيمة اليرموك، مما يشير إلى تحركه إلى أنطاكية آنذاك. وأخيراً يذكر ابن الأثير(١٦٢) أن هرقل كان مقيماً في حمص عند هزيمة قواته في اليرموك. ويتفق ابن الأثير والنويري (١٦٣) مع ثيوفانيس وكدرينوس وميخائيل السوريانى (١٦٤) على أن هرقل كان آنذاك في الرها، التي رحل منها عبر سميساط، ثمّ عبر دروب الأناضول عائداً إلى القسطنطينية. وعندما كان يمر قبالة الشام قال قولته المشهورة: «السلام عليك يا

سورية سلام لا اجتماع بعده، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً...» أو حسب رواية أخرى: «عليك يا سورية السلام، ونعم هذا البلد للعدو».(١٦٥) ويحدد ابن الأثير (١٦٦) تاريخ رحيل هرقل من الرها إلى القسطنطينية عام ١٥هـ/٦٣٦م أو ١٦هـ/٦٣٧م بعد فتح العرب لقنسرين. ويتفق المؤرخان رفيق العظم (١٦٧) ووالتر كيجي (١٦٨) في الرأي مع ابن الأثير وثيوفانيس والنويري وميخائيل السوريانى، ويشيران إلى أن ذهاب هرقل إلى الرها هو الأصوب، حيث أتاح هذا له الوقت الكافي آنذاك ليرتب دفاعاته في الأناضول ضد العرب، ويشرف على انسحاب قواته من بلاد الشام؛على عكس المؤرخ اليوناني أندرياس ستراتوس الذي يعتقد أن الرها تصحيف لغوي لحمص، حيث تكتب الأولى Edessa، والثانية Emesa.(١٦٩)

وأياً كان الخلاف بين المؤرخين فإنه من المحتمل أنه مع اشتداد المعارك بين البيزنطيين والمسلمين في الشام أن يكون هرقل قد أقام في حمص بعد عودته من الحج في بيت المقدس عام ٦٣٠م.(١٧٠) وحتى هزيمة قواته في أجنادين؛ وعند تقدم المسلمين نحو وسط الشام، نحو حمص ودمشق، اتجه هرقل إلى أنطاكية، على حد ذكر البلاذري، والتي أدار منها معركة اليرموك. وعندما هزمت قواته في اليرموك، أرسل المدد العسكري من أنطاكية إلى قنسرين، ليحول دون سقوطها في أيدي المسلمين؛ حيث أرسل أحد البطارقة ومعه جبلة بن الأيهم الغساني في مدد عسكري إلى قنسرين.(١٧١) غير أنه بسقوط قنسرين في أيدي المسلمين، اضطر هرقل إلى أن ينقل مقر القيادة إلى الرها، حاضرة إقليم الجزيرة، ليرتب دفاعاته في الأناضول ضد العرب، ويشرف على انسحاب قواته من بلاد الشام، على حد قول والتر كيجي؛ خاصة وأن أبا عبيدة بن الجراح أرسل عياض بن غنم ليتتبع فلول البيزنطيين الهاربة شمالا نحو ملطية، فصالحه أهلها على الجزية ثم انصرف. ولما سمع هرقل بذلك بعث إلى مقاتلتها ومن فيها فساقهم إليه وأمر بملطية فحرقت.(١٧٢) وعندما تأكد له توجُه المسلمين بعد ذلك نحو الدروب المؤدية إلى الأناضول، كان عليه الإسراع بترك الرها والعودة إلى القسطنطينية على وجه السرعة؛ حيث أمر عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح، بعد فتحه أنطاكية، بالتوجه لفتح الدروب،(١٧٣) وهي المنطقة الفاصلة بين شمال الشام وجنوب الأناضول، والمؤدية إلى قلب آسيا الصغرى البيزنطية، وبالفعل أرسل ميسرة بن مسروق بسرية إلى الدروب، حيث التحم مع البيزنطيين في موقعة مرج القبائل.(١٧٤) وبناءً على كل هذا يمكن تتبع القيادة البيزنطية للعمليات الحربية في بلاد الشام، في الفترة من ٦٣٠م-٦٣٧م، على النحو التالي:

بيت المقدس حمص أنطاكية الرها سميساط القسطنطينية

وبعد هذا النصر الباهر الذي أحرزه المسلمون في اليرموك، وبينما كان أبو عبيدة بن الجراح يتتبع فلول البيزنطيين الفارين إلى فحل بيان، جاءته الأخبار بمدد عسكري بيزنطي متجهاً من حمص إلى دمشق، فتعذر عليه أخذ قرار حاسم حيال قتال البيزنطيين في فحل بيان

أم التوجه إلى دمشق. ومن ثم راسل أبو عبيدة بن الجراح الخليفة عمر بن الخطاب الذي رد عليه ينصحه بأن يبدأ بفتح دمشق لأنها حصن الشام وبيت ملكهم، وفي نفس الوقت يشغل أهل فحل بيان ببعض الفرسان المسلمين حتى يصرفهم عن أمر دمشق. وبالفعل توجه أبو عبيدة بن الجراح إلى دمشق في المحرم من عام ١٤هـ/٦٣٥م (١٧٥) بعد أن ترك مجموعة من الجنود المسلمين يحاصرون فحل بيان. وتمكن أبو عبيدة بن الجراح ومن معه من القادة المسلمين من فتح دمشق، ودخولها بعد أن صالحه أهلها.(١٧٦) وقد انسحبت القوات البيزنطية إلى الوراء نحو حمص، على أثر ضغط القوات الإسلامية عليها.(١٧٧) والتي سيفتحها المسلمون فيما بعد.

وبعد النصر الذي أحرزه المسلمون في دمشق وفتحهم لها، بدأ القادة المسلمون يوجهون قواتهم نحو فتح بقية بلاد الشام، لاسيما المدن الساحلية، والتي أشار إليها ثيوفانيس بقوله أن المسلمين استولوا على إقليم فينيقيا. وقد استولى المسلمون على فحل بيان، وبيسان، وطبرية، بفلسطين؛ بالإضافة إلى جميع مدن الأردن. ثم زحف أبو عبيدة بن الجراح ومعه خالد بن الوليد إلى حمص، حيث صالح أهلها، على مثل ما صالح به أهل دمشق، ثم قصد بعلبك وحماة وشيزر فسالمهم أهلها. وواصل أبو عبيدة الفتح حتى وصل معرة النعمان، ففتحها صلحاً. وقد عهد أبو عبيدة بن الجراح إلى عبادة بن الصامت بفتح سواحل بلاد الشام، ففتحها عنوة؛ ثم افتتح انطرسوس، وجبلة عنوة أيضاً. أما أبو عبيدة ومعه خالد بن الوليد فقد سارا إلى قنسرين، حيث صالح أهلها مثل صلح حمص، وهناك أسلم بعض أهلها. ثم رحل أبو عبيدة بن الجراح إلى حلب ومعه عياض بن غَنِم، فافتتحها صلحاً؛ وزحف من هناك شمالاً نحو أنطاكية، واشتبك مع أهلها، وانتهى القتال بأن صالحوه على الجزية في عام ١٦هـ/٦٣٧م، على حد ذكر المصادر العربية.(١٧٨) ومن جملة هذه الأحداث يذكر ثيوفانيس، تحت أحداث عام ٦٣٦-٦٣٧م، فتح أنطاكية، الواقعة في شمال بلاد الشام. وهو العام الذي قام فيه عمر بن الخطاب بتعيين معاوية بن أبي سفيان والياً على كل المنطقة، من مصر إلى الفرات؛ (١٧٩) وبهذا يكون العرب قد تقدموا بفتوحاتهم حتى أطراف الشام الشمالية طبقاً للمصادر العربية والبيزنطية. وهكذا، تتطابق رواية ثيوفانيس حول نشاط المسلمين في هذه المرحلة من فتوح الشام مع الرواية العربية، من فتحهم دمشق وكل فينيقيا وأنطاكية. وتنبغي الإشارة إلى أن التاريخ الذي وضعه ثيوفانيس لولاية معاوية بن أبي سفيان على الشام غير صحيح، والصحيح أن عمر بن الخطاب ولاه على الشام عام ١٨هـ/٦٣٩م، بعد أن هلك واليها يزيد بن أبي سفيان، وقبله أبو عبيدة بن الجراح في طاعون عَمواس.(١٨٠)

وأخيراً ينتقل ثيوفانيس للحديث عن فتح بيت المقدس على أيدي المسلمين، حسبما يلي: «في هذا العام (٦٣٤-٦٣٥م) غزا عمر فلسطين، بعد حصار المدينة المقدسة لمدة عامين، استولى عليها باستسلامها له؛ نظراً لأن صفرونيوس، أسقف بيت المقدس، حصل على وعد بالعفو عن كل فلسطين. ودخل عمر المدينة المقدسة مرتدياً رداءً بالياً من شعر الإبل، في مظهر

شيطاني، وبحث عن معبد اليهود – الذي بناه سليمان – (١٨١) حتى يجعله مكان عبادة لدينه الهرطوقي. وعندما رأي صفرونيوس هذا قال 'حقاً ما قيل أيام النبي دانيال أن خرابا بغيضا سيحل بالمكان المقدس.' وبمزيد من الدموع ناح حامي التقوى على الشعب المسيحي...» (١٨٢)

ومن خلال النص السابق نجد أن ثيوفانيس قد صور عمر بن الخطاب على أنه غزا فلسطين، والثابت من المصادر التاريخية أن عمرو بن العاص هو الذي كان مكلفاً بفتح فلسطين من البداية، كما سبق وأوضحنا، وأن أبا عبيدة بن الجراح وبقية القادة المسلمين اشتركوا في حصار بيت المقدس، بعد أن فرغوا من اليرموك وما حولها من مدن شامية، هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية، جاء عمر بن الخطاب إلى فلسطين، بناء على طلب أهل إيلياء (بيت المقدس)، وعلى رأسهم البطريرك صفرونيوس، الذين اشترطوا على أبي عبيدة بن الجراح أن يأتي عمر بنفسه ليمنحهم كتاب الصلح والأمان، ويتسلم إيلياء.(١٨٣) وعلى هذا، استجاب عمر بن الخطاب إلى طلب أهل إيلياء، وقدم إلى الشام، وهناك اجتمع بقادة المسلمين في الجابية، ثم اتجه إلى إيلياء، حيث منح أهلها، وعلى رأسهم البطريرك صفرونيوس، كتاب أمان.(١٨٤) على عكس سيبيوس الذي يشير إلى أن سكان بيت المقدس حل بهم الرعب من العرب فأخذوا الصليب المقدس وأوعية كنائس الرب وهربوا بها في قارب إلى القصر [الإمبراطوري] في القسطنطينية، وأن هذا وقع عند دخول العرب إلى بيت المقدس، حيث سألهم سكانه عهداً.(١٨٥) ويعمد ثيوفانيس إلى القول أن معبد اليهود، الذي اندثر منذ زمن بعيد،(١٨٦) كان لا يزال قائماً، ويلقي بواحدة من الاتهامات، التي لا زالت تُلصق بالمسلمين حتى عصرنا الحديث، وهي تحويل هيكل سليمان عليه السلام إلى مسجد لهم، ويحاول تصوير عمر بن الخطاب على أنه مغتصب لواحد من أماكن اليهود بالمدينة: (١٨٧) في وقت لو شاء عمر فيه أن يصلي داخل الكنيسة لفعل، وليس خارجها؛ وهو الذي أعطى صفرونيوس وكل أهل إيلياء كتاب أمان جامع شامل؛ كما أن هذا الاتهام لا يستقيم مع شخص كعمر بن الخطاب، الذي وضع القواعد المنظمة لمعاملات أهل الذمة في الإسلام.(١٨٨)

وفي هذا المضمار يفند سيبيوس، مؤرخ القرن السابع الميلادي، رواية الأخير، حيث يؤكد على عدم وجود هيكل سليمان من أساسه عند فتح العرب لبيت المقدس، وذلك عندما يقول: «...أنهم (أي اليهود) خططوا لإعادة بناء هيكل سليمان في بيت المقدس...» (١٨٩) وبالرغم من شهادة سيبيوس المهمة إلا أنها تشير إلى أن اليهود «...وجدوا دعماً من العرب لبعض الوقت...»،(١٩٠) في الوقت الذي أقر فيه عمر بن الخطاب في كتابه إلى أهل إيلياء، ألا يسكن أحداً من اليهود معهم.(١٩١) وقد جاء إجراء عمر هذا متماشيا مع مرسوم كان قد أصدره الإمبراطور هرقل، عندما كان في بيت المقدس، يقضي بعدم اقتراب اليهود من بيت المقدس لمسافة ثلاثة أميال.(١٩٢) ويبدو أن اليهود طلبوا بعد ذلك وساطة عمر بن الخطاب عند البطريرك صفرونيوس ليسمح لهم بدخول بيت المقدس، حيث استجاب البطريرك لوساطة عمر بن الخطاب فسمح لخمسين عائلة يهودية فقط، في الوقت الذي طلب اليهود فيه دخول مائتي عائلة، وفي النهاية سمح عمر بن الخطاب لسبعين عائلة منهم فقط.(١٩٣)

على كل حال، من الثابت أن عمر بن الخطاب، بعد أن انتهى من عقد الصلح مع أهل إيلياء، ذهب إلى موقع المسجد الأقصى ليلاً فدخله وصلى في محراب داوود، ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة وتقدم فصلى بالناس بسورة «ص»، في الموضع الذي صلى فيه الرسول ﷺ، (١٩٤) ثم انصرف بعد أن حدد القبلة به. (١٩٥) وعلى هذا فإن التفسير الأقرب إلى الواقع هو أن عمر بن الخطاب ذهب إلى موقع المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين، (١٩٦) الذي يحوي محراب داوود، وحائط البراق، (١٩٧) والصخرة التي عرج منها الرسول ﷺ (١٩٨) حتى يصلي فيه. وربما لم يدرك ثيوفانيس، أو من نقل عنهم، مدى قدسية هذه الأماكن وأهميتها الرفيعة عند المسلمين ليحرص عمر ابن الخطاب ومن معه من المسلمين على زيارتها.

ونأتي إلى وصف ثيوفانيس لمظهر عمر بن الخطاب عند قدومه إلى بيت المقدس بأنه «مظهر شيطاني»، فنجد أنه في هذا لا يشذ عن الكتاب البيزنطيين وبعض الكتاب من المسيحيين الشرقيين، في وصفهم للمسلمين عامة، كمحاولة لتفسير العجز الذي أصابهم أمام المد الإسلامي الناجح في بلاد الشام، لاسيما الفترة من ٦٣٢-٦٣٨م. فنرى على سبيل المثال البطريرك صفرونيوس، بطريرك بيت المقدس، يصف «سيف المسلمين بالبربرية والتوحش...وقد امتلأ بكل أنواع الوحشية الشديدة». كما يصف المسلمين في موضع آخر بأنهم كفرة، ومتوحشون، ومتعطشون للدماء، وأنهم أنذال وأعداء للرب؛ (١٩٩) أما ماكسيموس المعترف فيصفهم بأنهم شعب بربري. (٢٠٠)

وفي ختام هذا الجزء من رواية ثيوفانيس عن فتح بيت المقدس ينبغي تصحيح التاريخ الخاطئ الذي وضعه ثيوفانيس لفتح بيت المقدس وهو٦٣٤-٦٣٥م/١٣-١٤هـ، بينما تشير بعض الروايات العربية إلى أن بيت المقدس فتحه المسلمون في عام١٥هـ/٦٣٦م (٢٠١) أو ١٦هـ/٦٣٧م، والأخير هو الغالب بين جمهرة المؤرخين. (٢٠٢)

ويعود ثيوفانيس ثانية إلى الحديث في موضع آخر عن موضوع عمر بن الخطاب واليهود عندما يقول تحت أحداث عام ٦٤٢-٦٤٣م ما يلي: «في هذا العام شرع عمر في بناء معبد في بيت المقدس، غير أن البناء لم يعلو وظل يسقط. وعندما استفسر عن السبب في هذا قال له اليهود: إذا لم تنزع الصليب الموجود فوق الكنيسة الواقعة على جبل الزيتون، فإن البناء لن يعلو. ولهذا السبب أزيل الصليب من هناك، وهكذا ارتفع بنيانهم. ولهذا السبب أنزل أعداء المسيح العديد من الصلبان». (٢٠٣)

وهكذا، ألقى ثيوفانيس ظلال الاتهام ثانية على عمر بن الخطاب، من خلال محاولته القول أنه كان يعمل بمشورة اليهود، الذين حثوه على النيل من مقدسات المسيحيين في بيت المقدس، حتى يتسنى له إقامة بناء ما. وهذا بطبيعة الحال يخالف العهد الذي قطعه عمر بن الخطاب على نفسه للبطريرك صفرونيوس وكل أهل إيلياء، بتأمين المسيحيين على أنفسهم وكنائسهم وأموالهم وألا يسكن أحداً من اليهود معهم في بيت

المقدس؛ (٢٠٤) ومن ثم فإن رواية ثيوفانيس هنا لا أساس لها من الصحة. غير أننا ينبغي أن نتساءل عن ماهية هذا البناء الذي يشير إليه ثيوفانيس وشيده عمر بن الخطاب.

يشير المؤرخون إلى أن عمر بن الخطاب ذهب إلى الشام أربع مرات، اثنتين في عام ١٦هـ/٦٣٧م، الأولى منهما عندما ذهب لتسلم بيت المقدس، والثانية ليس لدينا أخبار عنها؛ واثنتين أثناء طاعون عَمواس وبعده، غير أن انتشار الطاعون هناك حال دون الزيارة فعاد إلى المدينة؛ ثم ذهب ثانية إلى الشام بعد انتهاء طاعون عَمواس، لينظر في أمور الناس بعد هذا المصاب الأليم الذي دهمهم. (٢٠٥) غير أنه لا يوجد دليل تاريخي على تشييد عمر بناء ما أثناء زياراته هذه للشام. فمن أين إذن جاء ثيوفانيس بهذه الرواية الغريبة؟

وإذا فحصنا رواية سيبيوس الأرمني التي تقول: «أنهم (أي اليهود) خططوا لإعادة بناء هيكل سليمان في بيت المقدس... وعند المكان المسمى قدس الأقداس، أقاموا المعبد مع قاعدة، ليصبح مكاناً لصلاتهم. غير أن العرب حقدوا على اليهود وطردوهم من المكان، وجعلوا المكان نفسه موضعاً خاصاً لصلاتهم. ومن ثم فقد بنى اليهود معبداً آخر في مكان ما لعبادتهم...» (٢٠٦) فإن روايته تشير إلى محاولة يهودية لإعادة بناء هيكل سليمان، ربما في موقع المسجد الأقصى، الذي كان عمر بن الخطاب قد حدد القبلة فيه وجعلها نحو الكعبة عند قدومه إلى فلسطين في المرة الأولى، ومن ثم استولى المسلمون على هذا البناء ومنعوا اليهود من هذه المحاولة، التي يشير سيبيوس إلى أن اليهود شرعوا فيها مستغلين تسامح المسلمين مع أهل الذمة. ومع ذلك لا يمكننا الثقة في رواية سيبيوس في هذا الخصوص. ويمكن القول أن عمر بن الخطاب قد قام ببناء مسجد للمسلمين عند الصخرة المقدسة، التي عرج منها الرسول، (٢٠٧) حيث سأل عن الصخرة المقدسة، عندما ذهب إلى بيت المقدس في المرة الأولى، فدلوه عليها؛ (٢٠٨) فإذا القمامة أو الكناسة تغطيها، (٢٠٩) فبدأ بنفسه في إزاحة القمامة عنها، وقد اقتدى به من رافقه من المسلمين وشاركوه العمل؛ وبهذا ظهرت الصخرة المقدسة على سطح الأرض ثانية، وأمر المسلمين ألا يصلوا بها حتى يصيبها الماء ثلاث مرات، (٢١٠) وبنى هناك مسجداً للمسلمين شرقي المسجد الأقصى. (٢١١)

وإلى جانب رواية سيبيوس التي تقدم جزءاً مقنعاً من الحقيقة، وهو محاولة اليهود إعادة بناء هيكل سليمان ثانية، إلا أن هناك رواية لأحد الرهبان غاية في الأهمية تؤكد رواية سيبيوس من أن اليهود هم الذين تعدوا على كنيسة جبل الزيتون ونزعوا صليبها. ولهذا، حسب تفسير الرواية، سقط البناء الذي عُمل لإقامة الهيكل، وكان هذا في عهد الإمبراطور قنسطانز (٦٤١-٦٦٨م). (٢١٢) ولعل ما يؤكد ذلك أن عمر بن الخطاب، بعد أن رتب الأمر مع بطريرك بيت المقدس بشأن اليهود، سمح لسبعين عائلة فقط بدخول بيت المقدس. (٢١٣)

ولذلك من المحتمل أن تكون رواية الراهب المجهول صحيحة أكثر من روايتي ثيوفانيس وسيبيوس، وأن اليهود الذين سُمح لهم بدخول بيت المقدس قد حاولوا بناء هيكل سليمان ثانية، وأنهم تحرشوا بالمسيحيين هناك، بعد أن حرموهم زمناً من دخول بيت المقدس، مما أدى إلى تدخل المسلمين فأوقفوا البناء، أو استولوا عليه حسب رواية ثيوفانيس، هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية يتطابق التاريخ الذي وضعه ثيوفانيس لهذا الحدث، ٦٤٢-٦٤٣م، مع رواية الراهب المجهول، الذي يضعها في عهد الإمبراطور قنسطانز.

ويحاول ثيوفانيس في موضع آخر إبراز أن صفرونيوس كان ذا قلب رحيم عندما يقص رواية لم نقرأ عنها في المصادر الأخرى من أنه أشفق على عمر بن الخطاب من بساطة ملابسه ومظهره، عندما جاء إلى بيت المقدس في المرة الأولى، وحاول صفرونيوس أن يعطيه ملابس من عنده غير أن عمر رفضها، مما جعل صفرونيوس يحثه على ارتدائها لحين غسيل ملابس أمير المؤمنين، الذي أعادها إليه ثانية.(٢١٤) ولا يستطيع المرء أن يجزم ماذا أراد ثيوفانيس أن يقول من وراء هذه الرواية، هل أراد القول أن صفرونيوس كان رحيما، حتى مع أعدائه، أو أن البيزنطيين رحماء مع أعدائهم؟ على أية حال، بفحص المصادر العربية تقابلنا رواية تمت إلى هذا الموضوع بصلة، وتدحض رواية ثيوفانيس تماماً، يقول فيها الواقدي:(٢١٥) «... لما هم [عمر بن الخطاب] بالركوب على بعيره وعليه مرقعة من صوف وفيها أربع عشرة رقعة بعضها من أدم، فقال له المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت بدل بعيرك جواداً ولبست ثياباً بيضاً؟ قال ففعل. قال الزبير أحسب أنها كانت من ثياب مصر تساوي خمسة عشر درهماً، وطرح على عاتقه منديلاً من كتان ليس جديداً ولا بالخلق، دفعه إليه أبو عبيدة، وقدم إليه برذون أشهب من براذين الروم. فلما صار عمر على ظهره جعل البرذون يهملج به، فلما نظر عمر إلى البرذون وأفعاله نزل عنه مسرعاً وقال: أقيلوا عثرتي أقال الله عثرتكم يوم القيامة، فقد كاد أميركم أن يهلك بما دخل من العجب والكبر، وأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من الكبر، ولقد كاد أن يهلكني ثوبكم الأبيض وبرذونكم المهملج؛ ثم إن عمر رضي الله عنه نزع ما كان عليه ثم عاد إلى لبس مرقعته...» وبناءً على هذه الرواية الأخيرة للواقدي، إذا كان عمر بن الخطاب قد رفض لبس ما أشار عليه به أصحابه من قادة المسلمين، فليس من المقبول أن يفعل ذلك بواسطة عدوه.

وفي موضع آخر يشير ثيوفانيس أيضاً إلى أن عمر بن الخطاب أمر بعمل إحصاء لكل البلاد المفتوحة، وقد شمل الإحصاء كل السكان والحيوانات والزروع، وذلك تحت أحداث عام ٦٣٨-٦٣٩م/١٧-١٨هـ.(٢١٦) أما في عام ٦٤٠-٦٤١م/١٩-٢٠هـ فقد فتح معاوية قيصرية فلسطين (٢١٧) بعد حصار دام سبع سنوات وقتل ٧,٠٠٠ من الروم فيها؛ (٢١٨) وهو ما يشير إليه المؤرخون المسلمون، ويجعلونه في عام ١٥هـ/٦٣٦م،(٢١٩) أو ١٩هـ/٦٤٠م، ويؤكدون على أنه كانت هناك مقتلة عظيمة من الروم.(٢٢٠) وإذا صح تاريخ ١٩هـ/٦٤٠م الذي يضعه الواقدي وخليفة بن خياط، فإن رواية ثيوفانيس تتفق معهما في تاريخ الواقعة، غير أنها تختلف معهما في ماهية القائد المسلم الذي فتحها، حيث عندهما عمرو بن العاص. والحقيقة أن

هناك تضارب في الروايات العربية حول شخصية الفاتح لقيصرية فلسطين، وقد رصد البلاذري (٢٢١) هذا الخلاف بقوله: « . . . قال قائلون فتحها معاوية، وقال آخرون بل فتحتها عياض بن غنم بعد وفاة أبي عبيدة وهو خليفته، وقال قائلون بل فتحها عمرو بن العاص، وقال قائلون خرج عمرو بن العاص إلى مصر وخلف ابنه عبد الله، فكان الثبت من ذلك. والذي اجتمع عليه العلماء أن أول الناس الذي حاصرها عمرو بن العاص نزل عليها في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، فكان يقيم عليها ما أقام، فإذا كان للمسلمين اجتماع في أمر عدوهم سار إليهم فشهد أجنادين وفحل والمرج ودمشق واليرموك ثم رجع إلى فلسطين فحاصرها بعد إيلياء، ثم خرج إلى مصر في قيسارية، وولى يزيد ابن أبي سفيان بعد أبي عبيدة، فوكل أخاه معاوية بمحاصرتها، وتوجه إلى دمشق مطعونا فمات بها. . .» وهكذا، طبقا لرواية البلاذري، والتي تتفق مع غالبية آراء الرواة العرب، وكذلك ثيوفانيس، فإن من أتم فتح قيصرية فلسطين هو معاوية بن أبي سفيان وليس عمرو بن العاص.

على أية حال، يشير سيبيوس، تعقيباً على هذه المرحلة من الفتوحات الإسلامية، إلى أن المسلمين صارت لهم السيادة على المنطقة من مصر إلى جبل طوروس الكبير، ومن البحر الغربي إلى ميديا (فارس) وخوزستان. (٢٢٢) أما جيفوند فيقول أن العرب بعد انتصارهم وفتحهم بيت المقدس، وفرضهم الجزية على السكان والكنائس هناك، صاروا سادة على فلسطين وبلاد الشام. (٢٢٣)

والآن، يلوح سؤال في الأفق وهو: من أين استقى الراهب البيزنطي ثيوفانيس معلوماته التاريخية عن المسلمين، من عهد الرسول إلى عصر الفتوحات الإسلامية؟

لا يقدم ثيوفانيس أية معلومات مباشرة توضح المصادر التي اعتمد عليها، سواء أكانت خطية أم شفهية. بيد أنه يمكن أن نستخلص بعض الخيوط التي قد تساعدنا على الإجابة على هذا التساؤل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أولا: لنبدأ بتحليل بعض الأسماء العربية التي أوردها ثيوفانيس، حسب الجدول التالي:

الاسم بالعربية	الاسم كما ورد عند ثيوفانيس
مضر	Moudaros
ربيعة	Rabias
قريش	Kourasos
قيس	Kaisos
أسد	Asados
محمد	Mouhamed
خديجة	Chadiga
أبو بكر	Aboubacharos
قرشي (صفة)	Koraishite
خالد	Chaled
عمر	Oumaros
عثمان	Outhman
عفان	Phan
معاوية	Mauias
حبيب	Abibos
أبو الأعور	Aboulauar
علي	Ali
المسيح	Messaih
تميم	Themimos

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبنظرة متفحصة للجدول السابق نستنتج، بعد حذف نهاية الاسم اليوناني الوارد هنا، os أو as ، والمميزة لحالة الفاعل أو المبتدأ في اليونانية، سنجد أن كل الأسماء الواردة عند ثيوفانيس قد كتبها بصورة صحيحة تماماً كما تكتب بالعربية؛ على عكس الكتاب المسلمين الذين صحفوا الأسماء البيزنطية عند نقلهم إياها إلى العربية، وخلطوا بين الألقاب وأسماء الأعلام؛ وهذا ببساطة بسبب جهلهم بتلك اللغة، حيث كانوا يستخدمون التراجمة في معاملاتهم مع البيزنطيين. وهذه الملاحظة اللغوية إن دلت على شيء فإنها تدل على أن ثيوفانيس اعتمد على مصدر شرقي، كان كاتبه يجيد العربية؛ لاسيما وأن تداول ونسخ المخطوطات كان من الأشياء المعتادة في الأديرة آنذاك.

ثانياً: اتفاق ثيوفانيس مع المصادر الشرقية المسيحية في عدد من الأحداث التي عرضناها، وتشوش روايته في أحيان أخرى، ولا يعني هذا أنه اعتمد على مصادر عربية، بل يعني أنه اعتمد على مصادر شرقية كتبت باليونانية.(٢٢٤) يشن فيها كُتابها هجوماً عنيفاً على الإسلام بصفة خاصة، وعلى المسلمين بصفة عامة، مثل خطب صفرونيوس وكتابات يوحنا الدمشقي وأنستاسيوس السيناوي وماكسيموس المعترف وثيودور أبو قرة وغيرهم ممن كتبوا باليونانية.(٢٢٥)

ثالثاً: تتفق رواية ثيوفانيس مع سيبيوس الأرمني في محاولة الربط بين الرسول ﷺ واليهود والهراطقة من المسيحيين، وكذلك بين عمر بن الخطاب واليهود، وإثارة قضية استيلاء المسلمين على هيكل سليمان من اليهود كذباً، مما قد يعني أن هذه القضايا كانت متداولة بين الرهبان دون التحقق منها.

رابعاً: تتفق رواية ثيوفانيس مع يوحنا الدمشقي في كثير من التفاصيل عن المسلمين، لاسيما عند حديثه عن الرسول ﷺ (٢٢٦) ومن الممكن أيضا أن يكون ثيوفانيس قد اعتمد على مصادر بيزنطية أيضاً سابقة عليه، فقدت ولم تصل إلينا.

وهكذا، نستطيع القول أن ثيوفانيس اعتمد على مصادر مسيحية شرقية عند حديثه عن المسلمين، ربما كان كُتابها معاصرون لأحداث الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام، ويعرفون العربية.(٢٢٧)

ونأتي الآن إلى قضية مهمة وهي: إلى أي مدى كان لرواية ثيوفانيس عن الرسول وخلفائه أبو بكر وعمر بن الخطاب وفتوحاتهم في الشام، أثر على من جاء بعده من المؤرخين البيزنطيين؟ أو بمعنى آخر هل عاشت رواية ثيوفانيس بعد وفاته عام ٨١٨م/١٩٨هـ، بين أروقة التاريخ البيزنطي أم ماتت بموته؟

وللإجابة على هذا التساؤل سنأخذ مثالاً من المصادر البيزنطية يعود إلى القرن العاشر الميلادي، وهو كتاب «عن الإدارة الإمبراطورية» لقسطنطين بورفيروجنيتوس (٩١٣-٩٤٤م)، حيث يبدو تأثر الأخير بثيوفانيس بصورة واضحة. ويتميز قسطنطين بورفيروجنيتوس بأنه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يذكر صراحة في أكثر من موضع أنه نقل عنه، ويظهر هذا التأثر في كثير من كلامه عن الرسول ﷺ وعن الخلفاء الراشدين.(٢٢٨) وفي هذا المقام يكرر قسطنطين بورفيروجنيتوس نفس كلام ثيوفانيس عن الرسول ﷺ، حيث يقوم بسبه واتهامه بالكفر، وأن العرب يدعونه رسولاً، ثم ينتقل بعد ذلك للحديث عن سلسلة أنسابه، ويتطابق في كلامه مع ما قاله ثيوفانيس تماماً.(٢٢٩)

وبعد انتهاء قسطنطين بورفيروجنيتوس من حديثه عن نسب محمد ينتقل للحديث عن موضوع زواجه من السيدة خديجة، قائلاً:

«... ولأن محمد كان معدماً ويتيماً فقد قرر الدخول في خدمة امرأة ثرية، كانت من أقاربه، وتدعى خديجة، كأجير عندها على أن يرعى إبلها ويتاجر لها في مصر بين الأجانب، وفي فلسطين. ورويداً رويداً أصبح أكثر جرأة في الحديث وحظي بمكانة عند هذه السيدة، وكانت آنذاك أرملة، فاتخذها زوجة له.» ثم ينتقل بالحديث بعد ذلك عن موضوع نبوة محمد ومحاولة الربط بينه وبين اليهود والمسيحيين الأريوسيين، ويسير فيه على نهج ثيوفانيس أيضاً بقوله: (٢٣٠) «والآن، أثناء زياراته لفلسطين اختلط باليهود والمسيحيين، حيث اعتاد إتباع أمور بعينها من مذاهبهم وترجماتهم للكتاب المقدس...» ويستكمل قسطنطين بورفيروجنيتوس حديثه، متبعاً ثيوفانيس، حيث يثير مسألة اتهام محمد صلى الله عليه وسلم بالصرع وأنه أخفى مرضه عن زوجته السيدة خديجة، وقصة نزول الوحي عليه، وتفسير ورقة بن نوفل لما رآه النبي(٢٣١) غير أنه يشير صراحة أن ورقة بن نوفل كان أريوسياً.(٢٣٢) على عكس ثيوفانيس الذي يقول أنه «قد نفي بسبب مذهبه المنبوذ».(٢٣٣) وهنا يتأكد ما قلناه في بداية صفحات البحث من محاولة هؤلاء الكتاب الربط بين الحركة الأريوسية ورؤية الإسلام للمسيح عليه السلام بصفة خاصة، ومن ثم فالإسلام عندهم هرطقة منبوذة، مثلما لُفِظت الأريوسية ونبذت من الكنيسة بسبب قضية جوهر المسيح.

وينتقل قسطنطين بورفيروجنيتوس للحديث عن مسألة إيمان السيدة خديجة بالرسول ﷺ، ونشرها خبر النبوة بين نسوة القبيلة، وإيمان أبي بكر الصديق به. غير أن قسطنطين بورفيروجنيتوس يضيف أن السيدة خديجة توفيت بعد ذلك، وأن الرسول ﷺ أصبح مرموقاً وثرياً جداً، بعد أن ورث أموالها. ويتفق مع ثيوفانيس في القول: «وقد انتشرت هذه الهرطقة في منطقة يثرب»؛ غير أن قسطنطين يظهر حنقه صراحة عندما يجعل من الذين اتبعوا الرسول (رجالاً مجانين وضالين.(٢٣٤) وأخيراً يتفق قسطنطين بورفيروجنيتوس مع ثيوفانيس في قولهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم «قد علم أتباعه أن من يَقتل عدواً أو يقتله عدو يدخل الجنة».(٢٣٥)

وفي الفصل السابع عشر من كتابه «عن الإدارة الإمبراطورية» ينقل قسطنطين بورفيروجنيتوس حديث ثيوفانيس صراحة، عندما يُعنون هذا الفصل بـ «من حولية ثيوفانيس طيب الله ثراه».(٢٣٦) ويردد في هذا الفصل حديث ثيوفانيس عمن بايعوا الرسول

صلي الله عليه وسلم من الأوس والخزرج، فيما عرف باسم بيعة العقبة الأولى، والذين يعتبرهم يهوداً، لا عرباً مشركينَ، وأنه تعلم منهم بعض العادات، وأنهم كانوا يعتقدون بأنه جاء لهم إلى أن شاهدوه يأكل لحم الإبل. . .إلى آخر حديث ثيوفانيس الذي تقدم ذكره.

أما حديث قسطنطين بورفيروجنيتوس عن الفتوحات الإسلامية فإنه يتفق مع ثيوفانيس في قوله أن غزة فتحت في عهد أبى بكر الصديق، بيد أنه يختلف معه في مدة حكم أبي بكر، والتي جعلها ثلاث سنوات. (٢٣٧) وينقل قسطنطين بورفيروجنيتوس حديث ثيوفانيس عن عمر بن الخطاب، ولكن باقتضاب وبنفس أخطاء ثيوفانيس التاريخية، مشيراً إلى مسألتين رئيسيتين هما التوكيد على كتاب الأمان الذي منحه عمر بن الخطاب لسكان بيت المقدس من المسيحيين، ودور صفرونيوس فيه، والثانية مسألة اتهام عمر بن الخطاب بالاستيلاء على هيكل سليمان واتخاذه مسجداً للمسلمين. (٢٣٨)

وهكذا، من خلال رواية قسطنطين بورفيروجنيتوس يبدو جلياً التأثير المباشر لتاريخ ثيوفانيس على من جاء بعده من المؤرخين البيزنطيين، الأمر الذي ساهم كثيراً في ترسيخ العداء البيزنطي للمسلمين طوال القرون الوسطى، بل وتعداه إلى الغرب الأوربي أيضاً، حيث تعترف الكاتبة البريطانية كارين أرمسترونج أن هذه المعتقدات الخاطئة التي تعود إلى العصور الوسطى لازالت عالقة بذهن المواطن الأوربي البسيط حتى الآن. (٢٣٩)

وعند هذا الحد من البحث رأينا الإطار الأيديولوجي الذي سار فيه ثيوفانيس في حديثه عن الرسول وغزواته على أطراف الشام وفتوح الشام وفلسطين في عهد أبي بكر وعمر، والتي احتوت على كثير من الأخطاء التاريخية وغلفتها روح العداء والكراهية للإسلام.

والسؤال الذي يطرح نفسه في ختام البحث: لماذا كن ثيوفانيس كل هذا العداء في صدره للإسلام ورسوله أكثر من غيره من المؤرخين البيزنطيين سواء المعاصرين له أو السابقين عليه؟ والإجابة على هذا السؤال قد تبدو سهلة في ظاهرها، وتكمن في أنه راهب بيزنطي كره الإسلام والمسلمين. غير أنه إذا قارنا بين رواية ثيوفانيس وبين بعض روايات رجال الدين المسيحي الشرقيين، ممن حرر العرب كنائسهم من نير القسطنطينية، أمثال المؤرخ الأرمني سيبيوس، الذي عاش في القرن السابع الميلادي وعاصر الفتوحات الإسلامية. (٢٤٠) أو أغابيوس المنبجي، أو سنكسار الكنيسة المصرية سيساهم كل هذا في استجلاء الحقيقة والإجابة على السؤال المطروح.

يتفق سيبيوس مع ثيوفانيس والمصادر العربية في نسب الرسول صلى الله عليه وسلم وامتهانه بالتجارة، ويبدو من روايته اعتداله في الحديث عن الرسول ﷺ، على عكس ثيوفانيس، مما يشير إلى أنه نال شيئا من المعرفة الصحيحة عن الإسلام ورسوله، بحكم أنه عاش في القرن السابع الميلادي/الأول الهجري، وعاصر الفتوحات الإسلامية لأرمينية؛ وفي هذا الصدد يقول: «في ذلك الوقت ظهر رجل معين من العرب، وهو رجل من نسل أبناء إسماعيل، اسمه محمد، ويعمل تاجراً. وأخذ ينشر بينهم الموعظة عن طريق الصدق، بأمر

كلفه به الله، وعلمهم محمد أن يؤمنوا برب إبراهيم، خاصة منذ أن أصبح على دراية بتاريخ موسى. ولأن الأمر صدر من عال، فقد أمر الجميع أن يجتمعوا معا وأن يتحدوا بالإيمان. وقد تحولوا إلى الله الحي، الذي ظهر لأبيهم إبراهيم، بعد أن تخلوا عن تبجيل الأشياء التافهة. وقد استن لهم محمد قوانين بألاَّ يأكلوا الجيفة، وألا يشربوا الخمر، وألا يتحدثوا بالأكاذيب، وألا يزنوا». (٢٤١)

بيد أنه في نهاية هذا الجزء من الرواية يبدأ في الإشارة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم اكتسب شيئاً من المعرفة عن تاريخ اليهود، وهو ما ردده ثيوفانيس، ثم يدعي سيبيوس أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ يحث المسلمين على الاستيلاء على فلسطين، لأنها الأرض التي وعد بها بني إسرائيل، وهم من بعدهم؛ فقال لهم: «...لقد وعد الله بأن هذا البلد لإبراهيم ولابنه من بعده، من أجل الخلود.(٢٤٢) وما وعد به تحقق عندما أحب الله بني إسرائيل. والآن، من ناحية ثانية، فإنكم أبناء إبراهيم، سوف يتحقق هذا الوعد الذي قطعه الله لإبراهيم ولابنه فيكم. لذا، أحبوا رب إبراهيم، واذهبوا وخذوا البلد الذي منحه الله لأبيكم إبراهيم. إن ينصركم الله فلا غالب لكم.» (٢٤٣) وهو بهذا يمهد للقول أنه كان هناك تعاون مشترك بين العرب واليهود فيما بعد ضد المسيحيين في بيت المقدس، بل يصل به الحد أنه يجعل ألفاً من اليهود يعملون في الجيش الإسلامي المنطلق صوب فلسطين في عهد أبي بكر. وفي هذا الجانب لا يحالف سيبيوس الصواب، لأنه لم يَثبت أن الرسول تعاون مع اليهود، بل على العكس فقد قام بطردهم من المدينة، ثم تم إخلاء الجزيرة العربية منهم فيما بعد في عهد عمر بن الخطاب.(٢٤٤) وهكذا، تتسم رواية سيبيوس بالاعتدال إلى حد كبير على عكس ثيوفانيس.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما أغابيوس المنبجي فيقول: «تحرك العرب بيثرب ورأسوا عليهم رجلاً يقال له محمد بن عبد الله، فصار لهم رئيساً وملكاً، ودبرهم عشر سنين، واجتمع إليه أهله وأقاربه وقومه فأخذهم بالإيمان بالله وحده لا شريك له ورفض عبادة الأوثان وأفرد الله وحده بالعبادة وأمرهم بالختانة وترك شرب الخمر، ولا يأكلون لحم الخنزير ولا الميتة والدم وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فمن قبل ذلك سلم ونجا، ومن رفضه وامتنع منه حاربه، وقتل صناديد العرب من قومه وغيرهم، وفتح مدنا كثيرة للأمم المطيفة به. وأتاه النصارى من العرب وغيرهم فأمنهم وكتب لهم كتباً، وكذلك ساير الأمم المخالفين له، أعني اليهود والمجوس والصابئة وغيرهم، فبايعوا له على أن يؤدوا له الجزية والخراج.وأمر أمته بالإيمان بالأنبياء والرسل وما أنزل الله عليهم، وأن يؤمنوا بالمسيح بن مريم ويقولوا أنه رسول الله وكلمته وعبده وروحه وبالإنجيل، والجنة والنار، والحساب...وفرض عليهم الصوم والصلوات الخمس وغير ذلك...» (٢٤٥)

هذا عن رواية أغابيوس المنبجي عن عهد الرسول ﷺ، أما روايته عن فتوح الشام في عهد خلفائه فلم يضف جديداً في الأحداث سوى أن هرقل بعد أن تأكد من فشل قواته في صد

المسلمين، وأن القوات الإسلامية دخلت بلاد فارس، وكان إذاك بأنطاكية، كتب إلى سكان مصر والشام والجزيرة وأرمينية يأمرهم ألا يحاربوا العرب ولا يقاوموا أمر الله.٢٤٦وهذه الرواية الأخيرة بطبيعة الحال رواية ضعيفة لا تتسق مع الأحداث التاريخية التي وقعت بعد ذلك.

وهكذا تتسم رواية أغابيوس المنبجي بالاعتدال أيضاً، مقارنة بالروايات البيزنطية، عند حديثه سواء عن الرسول أو الفتوح الإسلامية لبلاد الشام، علماً بأن منبج كانت تحت السيادة الإسلامية.

وإذا أخذنا رواية سنكسار الكنيسة المصرية، والتي يسير عليها ساويرس بن المقفع أيضاً،(٢٤٧) سنجد أنها تتسم بالاعتدال مقارنة بالروايات البيزنطية، وإن كانت مقتضبة، حيث تقول: (٢٤٨) «...وبعد أيام قليلة ثار واحد اسمه محمد، فرد عبادة الأوثان من العربان إلى معرفة الله، انه واحد وأن يشهدوا ويقولوا أن محمد رسوله. وكانت أمة (العرب) مختونة بالجسد، غلف القلوب، ولهم ناموس، يصلوا قبلي شرقي موضع يسمى الكعبة. وملك محمد هذا وصحبه دمشق والشام، وعبر الأردن وبين النهرين...» (٢٤٩)

والآن إذا قارنا بين أيديولوجية ثيوفانيس، وهو رجل دين مسيحي شرقي، تجاه المسلمين، وبين روايات رجال الدين المسيحي الشرقيين الآخرين، الذين ذكرناهم على سبيل المثال، سنجد أولاً: أن هناك فريقان من رجال الدين المسيحي الشرقيين، فريق يتسم بالاعتدال كسيبيوس وجيفوند وأغابيوس المنبجي وساويرس بن المقفع وسنكسار الكنيسة المصرية، وفريق يتسم بالتعصب لبيزنطة والتحامل على الإسلام، كيوحنا الدمشقي وأنستاسيوس السيناوي وثيودور أبو قرة ومكسيموس المعترف وغيرهم، وينضم ثيوفانيس إلى الفريق الثاني من رجال الدين المسيحي الشرقيين. لكن ما يميز ثيوفانيس عنهم هو صفة «البيزنطي» التي تجعله معتداً بنفسه، يرى كسائر البيزنطيين، أنه واحد من أبناء أمة مصطفاة، وأن الآخرين برابرة.(٢٥٠)

والعامل الثاني والمتعلق بصفته كبيزنطي أنه واحد من أبناء أمة جريحة، نزف دماؤها على فراش الكبرياء البيزنطي فلم تجد طبيباً لها بين ثنايا التاريخ سوى أمثال ثيوفانيس ويوحنا الدمشقي وثيودور أبو قرة، ليحاولوا تعليل الإخفاق البيزنطي في الدفاع عن بلاد الشام ومصر وبقية البلاد التي فتحها المسلمون، من خلال الهجوم العنيف على الإسلام وعلى رموزه أمثال الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين. حيث لم يجدوا تفسيراً يقدمونه للتاريخ ولأبناء وطنهم يفسر أسباب هزيمة القوات الإمبراطورية، التي لم يمض على دحرها للفرس، أعداؤهم التقليديون، سوى بضعة أشهر، على أيدي قوات عربية خرجت من صحراء الجزيرة العربية؛ وكيف تمكن هؤلاء العرب في بضع سنين من غزو آسيا الصغرى وإلحاق الضرر بها،(٢٥١) بل وتهديد القسطنطينية نفسها أكثر من مرة،(٢٥٢) وهو الأمر الذي لم يحدث منذ أمد طويل، منذ دق الجرمان أبواب القسطنطينية في العصر البيزنطي الباكر، والذي أصاب البيزنطيين بصدمة شديدة. فقد أظهر مكسيموس المعترف، فيما بين ٦٣٤-٦٤٠م، مشاعر الصدمة والاشمئزاز من تقدم الفتوح العربية.(٢٥٣) وفي نفس الوقت نسي هؤلاء المؤرخون

البيزنطيون كيف لعب الضغط الديني الذي كانت تمارسه القسطنطينية وبعض أباطرتها على الكنائس الشرقية ورجال الاكليروس فيها، دوراً جعل السنكسار السكندري يسب اللعنات والشتائم على الإمبراطور هرقل ونوابه في البلاد، ويفسر هزائمه، بفرح شديد، تفسيراً دينياً يتمثل في عقاب الرب، وهو نفس الاعتقاد الذي آمن به صفرونيوس، بطريرك بيت المقدس.(٢٥٤) ولم تعكس رواية السنكسار السكندري وفريقه من الاكليروس حنقاً على المسلمين أو شحنة من الغضب كتلك التي نفثها ثيوفانيس في كتاباته عنهم.

والعامل الثالث الذي ساهم في عداء ثيوفانيس للمسلمين هو اتجاهاته الأيقونية، حيث كان ثيوفانيس من مناصري الأيقونات، مما جعله يشن هجوماً شديداً على الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري وابنه قسطنطين الخامس بصفة خاصة؛ حيث يُعتبر ليو الثالث الأيسوري شرقي المولد، هذا من ناحية؛ ومن ناحية ثانية يتهمه بأنه تأثر بتحريم الصور عند المسلمين، خاصة عندما أصدر يزيد بن عبد الملك مرسوما في عام ٧٢٣م يقضي بإزالة جميع الأيقونات من الكنائس الخاضعة للسيادة الإسلامية؛ (٢٥٥) ومن ثم شن ليو الثالث هجوماً على الصور المقدسة في الكنائس البيزنطية بدءاً من عام ٧٢٦م.(٢٥٦) وكان من نتائج سياسة ليو الثالث الدينية هذه أن جنت عدداً كبيراً من المعارضين له، لاسيما من رجال الدين أمثال البطريرك جرمانوس، بطريرك القسطنطينية، ويوحنا الدمشقي.(٢٥٧) وهذا العامل كفيل بأن يجعل ثيوفانيس لا يكن عداء للأباطرة اللأيقونيين فحسب بل للمسلمين أيضاً، فيتناولهم بشيء من غلظة الحديث المصحوبة بمغالطات تاريخية وبألفاظ غير لائقة واتهامات باطلة.

أما العامل الرابع والأخير فيكمن في أن ثيوفانيس، كغيره من البيزنطيين، لم يكن يعرف الكثير عن الإسلام؛ ولهذا لم يعتبره ديانة.(٢٥٨) بل اعتبره هرطقة مسيحية، مثله مثل يوحنا الدمشقي وثيودور أبو قرة، اللذان اتسما ببطء فهم الدين الإسلامي، واعتباره مزيجاً من تعاليم الكتاب المقدس، العهدين القديم والجديد، والمذهب الأريوسي؛ (٢٥٩) أو كدرينوس الذي قال أن الرسول ﷺ «أخذ عن اليهود عقيدة الله الواحد، وعن الأريوسيين كون الكلمة والروح القدس مولودين، وعن النساطرة طقوساً جديدة، وجعل لنفسه منها ديناً جديداً...» (٢٦٠) ويقر ستراتوس هنا بأن الغرب الأوربي أساء أيضاً فهم رسالة الدين الجديد، وأستخف بقوته تماماً، حيث اعتقد الجميع هناك، كالبيزنطيين، أنه هرطقة مسيحية جديدة.(٢٦١)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هوامش الدراسة

١) رنسمان، س، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة، ١٩٦٢)، ص ٢٩٥.

٢) انظر: The Chronicle of Theophanes, Eng. trans. H. Turrtledove (Pennsylvania 1982)

وتوجد ترجمة أفضل وأحدث من السابقة، وهي التي سنعتمد عليها، انظر:

Theophanes the Confessor, Chronographia, Eng. trans. C. Mango and R. Scott (Oxford 1997).

٣) D. Nicol, A Biographical Dictionary of the Byzantine Emperors (London 1991), 127.

٤) رنسمان، الحضارة البيزنطية، ص ٢٩٦.

٥) طارق منصور، قطوف الفكر البيزنطي، ج١، الأدب (القاهرة، ٢٠٠١)، ص ١٥-١٦.

٦) تعتبر كتابات البطريرك صفرونيوس، والمدعو ميثوديوس، وأنطونيوس الخوزبيتي، وماكسيموس المعترف، وأنستاسيوس السيناوي، ويوحنا الدمشقي من الكتابات اليونانية السابقة على ثيوفانيس، في القرنين السابع والثامن الميلاديين، غير أنها غلب عليها الطابع الجدلي الهجومي على الإسلام. انظر D.

Constantelos, "The Moslem Conquests of the Near East as Revealed in the Greek Sources of the Seventh and Eighth Centuries", Byz. 42(1972), 328-333.

قد بنيت كتاباتهم على الهجوم على قضايا دينية إسلامية مثل مسألة وحدانية الله، والقضاء والقدر، وقدر الإنسان، وتجسيد المسيح وصلبه، مكانة مريم العذراء واستخدام الأيقونات أو الصور الدينية. انظر:

J. L. Boojamra, "Christianity in Greater Syria: Surrender and Survival", Byz. 67(1997), 160.

٧) Constantelos, The Moslem Conquests of the Near East, 334, 335.

٨) A. S. Proudfoot, The Sources of Theophanes for the Heraclian Dynasty, Byz. 44(1974), 367ff.

٩) Idem.

١٠) انظر: Proudfoot, The Sources of Theophanes, 384, 386-387, 396-397.

١١) Theophanes, Chronographia, 464.

١٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، (بيروت، ١٤٠٧هـ)، ص ٢٢٤ وما بعدها؛ محمد رضا، محمد رسول الله (بيروت، ١٩٧٥)، ص ٣٥٢-٣٥٤. عن تفاصيل وفاة الرسول انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، تحقيق أحمد فريد المهدي، (بيروت، ٢٠٠٤)، ص ٧٠٦-٧٢٣.

١٣) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ٧١٤-٧١٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ج٤ (بيروت، ١٩٧٥)، ص ٢٢٥-٢٢٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٢٣-١٢٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٢٣٣-٢٣٦؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ج٤ (بيروت، ١٩٩٢)، ص ٦٤-٦٨؛ ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق زينب إبراهيم القاروط (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٥٠-٥٢؛

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي ومحمد العثماني (بيروت، د.ت.)، ص ٥٥-٥٨؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٣٩٠-٣٩٦.

١٤) سورة الشورة، آية ٣٨.

١٥) صحراء مدين المقصود بها أرض مدين، وكانت تقع شمال الحجاز وحتى أطراف الشام الجنوبية. وأهل مدين نزل فيهم النبي شعيب عليه السلام. انظر: محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم (الإسكندرية، ٢٠٠٤)، ص ١٩٢-١٩٤.

١٦) عن الآراء التي دارت حول أصل العمالقة وكذلك الحميريين انظر: بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، ص ١٧٦-١٨٣، ٣٣٥-٣٦٨.

١٧) Theophanes, Chronographia, 464.

١٨) Sebéos, Histoire d, Héraclius, trad. Fran F. Macler (Paris, 1904), 95, Schéos History, Eng. trans Rebort Bedrosian (New York 1985), chap. XXX in http://rbedrosian.com/seb 9.htm

١٩) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٧-٢٠٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص ٤٩٧-٥١٥؛ بيومي مهان، تاريخ العرب القديم، ص ٤٠٠-٤٠١؛ مونتجمري واط، محمد في مكة، ترجمة عبد الرحمن الشيخ وحسين عيسى، مراجعة أحمد شلبي، الألف كتاب الثاني (القاهرة، ٢٠٠٢)، ص ٨٩؛ تهذيب سيرة بن هشام، هذبها عبد السلام هارون (القاهرة، ١٣٧٤هـ)، ص ١٧.

٢٠) انظر: ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، ١٩٦٢)، ص ١٠؛ محمد رضا، محمد رسول الله، ص ١٠.

٢١) Theophanes, Chronographia, 464.

٢٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ١٧١-١٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ج١ (بيروت، ١٩٩٥)، ص ٥٦٩؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٤٩.

٢٣) Sebéos, Histoire d, Héraclius, 95, Sebeos, History, chap.XXXin http://rbedrosian.com/seb9.htm Héraclius,95

٢٤) تختلف بعض الأقوال حول سن رسول الله وقت زواجه من السيدة خديجة، فمنهم من يقول إحدى وعشرون عاماً، أو خمسة وعشرون عاماً، أو ثلاثون عاماً. بيد أنه صار من المتفق أنه تزوجها وهو ابن خمسة وعشرون عاماً. انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢ (بيروت، د.ت.)، ص ٢٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق طه محمد الزيتي، ملحق على كتاب الإصابة في تمييز الصحابة (القاهرة، ١٩٦٨)، ص ٦٨-٦٩. وكذلك يقول بعض المؤرخين أن عمر خديجة كان أربعون عاما. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٦٩. بينما يذكر مونتجمري واط أن عمرها لابد وأن يقل عن الأربعين عاماً، بحكم أنها أنجبت للرسول سبعة أبناء، ولا يعقل أن تكون قد أنجبت الابن السابع وهي فوق الخمسين من عمرها. انظر: واط، محمد في مكة، ص ٩٩-١٠٠).

٢٥) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٢٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ص ١٧٢-١٧٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٦٩.

٢٦) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٣٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٧٤؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٥٠؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي قبل البعثة وبعده، ج١-٢ (بيروت، ١٩٩١)، ص ٤٨؛ محمد الصادق عرجون، محمد من نبعته إلى بعثته (الرياض، ١٩٨٣)، ص ٣٤٣-٣٤٤.

٢٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٠-٢١؛ محمد الصادق عرجون، محمد من نبعته إلى بعثته، ص ٣٤٢-٣٤٣.

٢٨) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٧٥.

٢٩ القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية ١٦٠.

٣٠) Sebéos, Histoire d, Héraclius, 95-96 Sebeos History, chap XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm

٣١) راجع: رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ج٢(القاهرة، ١٩٨٢)، ص ١٥٥-٢٥٤؛ ج٣ (القاهرة، ١٩٨٣)، ص ٤٩-٣١٠؛ لوريمر، ج.، تاريخ الكنيسة (القاهرة، ١٩٨٨)، ص ٣٩-٨٢.

٣٢) انظر: عبد المنعم جبري، المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين وحقيقة الثالوث (دمشق، ٢٠٠٥)، ص ١٧٦-١٧٩.

٣٣) Theophanes, Chronographia, 464-465.

لقد علق البطريرك نقفور على هذه المرحلة من مراحل نشر الدعوة الإسلامية بقوله: «بدا العرب (المسلمون) بالظهور في تلك الفترة في يثرب، كما كانت تسمي (وهي إحدى بلاد العرب السعيدة) وحاولوا أن يبسطوا سلطانهم على القرى القاحلة المجاورة». انظر:
Nikephoros Patriarch of Constantinople, Short History, Eng. trans. C. Mango, CFHB 13 (Washington, D.C. 1990), 64-76

٣٤) كانت بُصرى تقع خلف نهر الأردن، وهي من أعمال دمشق، وقصبة كورة حوران. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١ (بيروت، ١٩٥٥)، ص ٤٤١؛ السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية (القاهرة، ١٩٦٠)، ص ١١٥.

٣٥) كان بُحيرى راهباً من رهبان بلاد الشام. وقد اتخذ له صومعة عند بُصرى، على الطريق الموصل من الجزيرة العربية إلى الشام، وكان يأمر الناس بنبذ الأصنام وعبادة الله. انظر: محمد الطيب النجار، السيرة النبوية (القاهرة، ١٩٩٩)، ص ٢٩. وقد تفضل الأب د. سهيل قاشا السرياني بالتوضيح لي أن اسم بُحيرى أو بُحيرا هو اسم سرياني يعني المتبحر في العلم، وقد طرد من الدير بسبب أعتناقة الركوسية، وهي من المذاهب الكنسية الخارجة التي تناهض الصليب والأيقونات، فاتخذ له الصومعة المشار إليها. وهناك مصدر بالسريانية عن سيرة هذا الراهب. وتجدر الإشارة إلى أن ا.د. سهيل زكار قد شكك في وجود هذا الراهب من الأساس، واعتبر أن سيرته مفتعلة وغير حقيقية.

٣٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥١٩. لمزيد من التفاصيل عن الراهب بَحِيرا ومحمد (انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٢٢-١٢٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٦٥-١٦٧.

٣٧) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٢٨-١٢٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٧٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٦٩.

٣٨) محمد عرجون، محمد من نبعته إلى بعثته، ص ٣٣٢.

٣٩) Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, ed. R. Jenkins and Others, vol. II (London 1962), 71.

٤٠) A. N. Stratos, Byzantium in the Seventh Century, Eng. trans. H. T. Hionides, II (Amsterdam 1972), 3.

٤١) تعود بدايات هذا الاتهام إلى فترة باكرة كما نرى، حيث يلقي به الراهب البيزنطي ثيوفانيس (القرن٨-٩م). جدير بالذكر أن أعراض الصرع لا تتطابق مع الحالة التي كان عليها الرسول (وقت أن هبط عليه الوحي لأول مرة وهو مختلياً بنفسه في غار حراء، كعادته التي دأب عليها. فقد نزل عليه ملاك، لم يكن يعرف وقتها من هذا، على عكس ما يدعي ثيوفانيس أن الرسول ذهب إلى خديجة وأخبرها باسمه وهو جبريل. والمصروع تعتريه النوبة فجأة فيقطع الكلام ويسقط مغشياً عليه وتثبت حدقة عينه ويفقد السيطرة على نفسه؛ وقد يصاب بأذى من جراء وقوعه على الأرض، وتتقلص عضلات الوجه والفك، وهي كلها أعراض لم تثبت أي منها إطلاقاً على الرسول ﷺ. انظر: محمد رضا، محمد رسول الله، ص ٣٥٩.

٤٢) ورد عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله (كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيُفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً» انظر صحيح البخاري، باب بدء الوحي، حديث رقم ٢؛ صحيح مسلم، حديث رقم ٤٣٠٤؛ سنن الترمذي، حديث رقم ٣٥٦٧؛ سنن النسائي، الافتتاح، حديث رقم ٩٢٤.

٤٣) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٦٣.

٤٤) كلمة الناموس التي استخدمها ورقة بن نوفل تعني الشريعة أو الكتاب الموحى به، والمقصود هنا التوراة؛ وهي كلمة يونانية الأصل. انظر: واط، محمد في مكة، ص ١٢٠.

٤٥) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٦٧-١٧٠، ١٧٦-١٧٧؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٢١٥-٢٢٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٣١-٥٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١،

ص ٥٧٤–٥٧٧؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج١–٢، ص ٥٠–٥٥؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٥٧–٦٠. جدير بالذكر أن بعضا من المؤرخين المذكورين هنا يذكرون أن السيدة خديجة اصطحبت رسول الله وذهبت به إلى ورقة بن نوفل.

٤٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٢٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٧٦؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٥١.

٤٧) كانت الصداقة بين الرجل والمرأة، سواء متزوجة أو غير متزوجة، من الأمور الشائعة في بيزنطة، وقد يصل الحد أنها تستضيف صديقها في بيتها، حال غياب زوجها عن البيت؛ بل وتشبع معه شهوتها. لمزيد من التفاصيل انظر: عبد العزيز رمضان، المرأة في الإمبراطورية البيزنطية (القاهرة، ٢٠٠٥)، ص ١٨٠–١٨٢.

٤٨) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٧٧–١٧٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٢٢٤–٢٢٥، ٢٣١؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٣٧؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٦١، ٦٣.

٤٩) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٤.

٥٠) انظر: تهذيب سيرة بن هشام، ص ٦٥ وما بعدها؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج١–٢، ص ٥٩ وما بعدها؛ محمد رضا، محمد رسول الله، ص ٧٧–٨٤.

٥١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٢١٦٥؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٧٤؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٥٧.

٥٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١١٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٤٠؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٤.

٥٣) من اللافت للنظر هنا أن ثيوفانيس استخدم الكلمة العربية «المسيح Messiah » في النص، مما يوحي أنه اعتمد على مصدر شرقي في هذه المعلومات. لأن اسم المسيح في اللغة اليونانية التي يكتب بها ثيوفانيس ينبغي أن يكون خريستوس «Xristos» وليس بالصيغة العربية.

٥٤) أحلت الشريعة اليهودية ذبح الحيوانات وأكلها، والتي لها أظافر مشقوقة كالأغنام والماعز والبقر، وحرمت لحوم الإبل لأن لها خفا، وليس أظافر، وهي نجسة عند اليهود؛ كما حرمت ذوات الوبر كالأرانب، كما حرمت أكل الطيور آكلة اللحوم كالنسر والعقاب والحدأة والبومة وغيرها. انظر: عطا أبو رية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر (القاهرة، ٢٠٠٥)، ص ٢٠٩.

٥٥) Theophanes, Chronographia, 464.

٥٦) بن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٥٥ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٧؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٢٠–٢٥؛ واط، محمد في مكة، ص ٢٨٣.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥٧) روى «عبادة بن الصامت قال كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله على بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض الحرب على ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم شيئا من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة، فأمركم إلى الله إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم. . .فلما انصرف عنه القوم بعث معهم رسول الله مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين فكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ.» لمزيد من التفاصيل انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٥٦-٥٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٥٨-٥٥٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٦١٠-٦١١؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٣٢-٣٤؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ١١٤-١١٦؛ محمد رضا، محمد رسول الله، ص ١٢٣؛ محمود شيت خطاب، الرسول القائد (بيروت، ١٩٧٤)، ص ٦٦.

٥٨) محمد عزة دروزة، اليهود في القرآن الكريم (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٤٢. تجدر الإشارة إلى أن رسول الله ﷺ قال قبل وفاته: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان»، وقد قال عمر بن الخطاب: من كان عنده عهد من رسول الله فليأتني به أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله من اليهود فليتجهز للجلاء؛ فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله منهم»، بل أن هناك حديث منسوب إلى الرسول ﷺ يقول فيه: «أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب». انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤١، ٧٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٤١. في موضع آخر يقول الطبري أن الرسول قال عند وفاته «لا يترك بجزيرة العرب دينان». انظر: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٢٤٠؛ محمد عزة دروزة، اليهود في القرآن الكريم، ص ٣١.

٥٩) عن مرض ووفاة الرسول انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص ٢١٢- ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٢-٢٢٤؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ج١ (دمشق، ١٣٩٧هـ)، ص ٩٤-٩٦؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١١٣-١١٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ٢٢٤-٢٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ١٨٢-١٩٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، ج٥ (القاهرة، ١٩٩١)، ص ٢٢٣-٢٥٨؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك، ج٤، ص ١٥-٥٠؛ Stratos, Byzantium in the Seventh Century, II, 29; A. S. Ali, A Short History of the Saracens (New Delhi 1981), 18-19.

٦٠) Cedrenus, Compendium Historiarum, ed. J. P. Migne, PG 121(Turnholti n.d.), col. 807.

٦١) يقول ثيوفانيس: «. . .وقد علم أتباعه أن من يقتل عدوا أو يقتله عدو يدخل الجنة، وأن هذه الجنة كانت جنة طعام وشراب سرمدي ونكاح نساء، وبها نهر من الخمر والعسل واللبن، والنساء بها لا يشبهن النساء هنا، بل نساء مختلفات، وفيها يدوم النكاح طويلا والمتعة دائمة؛ وأشياء أخرى تعج بالخلاعة والحماقة؛ كما علمهم أن على الرجال أن يتعاطفوا مع بعضهم البعض ويساعدوا أولئك المظلومين».

انظر: Theophanes, Chronographia, 465. Cf. also Constantelos, The Moslem Conquests of the Near East, 334.

٦٢) Theophanes, Chronographia, 466.

٦٣) يعتقد مانجو وسكوت أن هذا الاسم ربما يكون قتبة. انظر: Theophanes, Chronographia, 467, n. 6.

٦٤) Ibid., 466.

٦٥) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ٥٠٤-٥١٢؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٧-٢١؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ٨٦-٨٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٦٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٤٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المغازي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (بيروت، ١٩٩٠)، ص ٤٨٠؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٢٧١؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، البيزنطيون والعالم الإسلامي (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص ٣٩؛ والتر كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ترجمة نيقولا زيادة (بيروت، ٢٠٠٢)، ص ١١٨.

٦٦) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ٥٠٤-٥١٠؛ الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، ج٢ (لندن، ١٩٦٦)، أعيد طبعه في (بيروت، ١٩٨٤)، ص ٧٥٥-٧٦٩؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٢٧١-٢٧٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٤٩-١٥٢؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٣١٨-٣٢١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، المغازي، ص ٤٧٩- ٤٩٩؛ عبد الرحمن سالم، المسلمون والروم في عصر النبوة (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ٨٧-١٠٢؛ ليلى عبد الجواد، الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل وعلاقاتها بالمسلمين (القاهرة، ١٩٨٥)، ص ٣٤٥-٣٤٩؛ محمد حسين هيكل، حياة محمد (القاهرة، ٢٠٠١)، ص ٤١٠-٤١١؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٣٩-٤٠.

٦٧) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١١٤.

٦٨) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١١٨.

٦٩) Theophanes, Chronographia, 466.

٧٠) Idem.

٧١) Idem.

٧٢) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١٣٩.

٧٣) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج١(القاهرة، ١٩٩٦)، ص ٣٧.

٧٤) I. Shahid, Ghassanid and Umayyed Structures: a Case of Byzance après Byzance in La Syrie. de Byzance á L'orient Méditerranéen, Paris, Institut du Monde, Arabe, 11-15 Septembre 1990 (Damas 1992), 299.

٧٥) كان هذا اللقب، الذي يعني النبيل أو الشريف آنذاك، من الألقاب الإمبراطورية الشرفية الرفيعة جدا. وقد أسس الإمبراطور قسطنطين الأول من البداية طبقة تحمل اسم البطارقة. ظلت قائمة حتى العصر البيزنطي المتأخر. وقد فتح جستنيان باب البطرقية على مصراعيه، حيث زاد عدد البطارقة في عهده بدرجة ملحوظة. انظر: J. B. Bury, The Imperial Administrative System in the Ninth Century (London 1911), 27-28.

٧٦) نولدكة، ثيودور، أمراء غسان من آل جفنة، ترجمة قسطنطين زريق (بيروت، ١٩٣٣)، ص ١١-١٢؛ بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، ص ٥٦٧-٥٦٨؛ على إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام (القاهرة، د.ت.)، ص ٨٩؛ أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ج١(بيروت، ١٩٥٥)، ص ٢٠٢-٢٠٣.

٧٧) يوحنا الأسيوى، تاريخ الكنيسة، الكتاب الثالث، ترجمة صلاح عبد العزيز محجوب (القاهرة، ٢٠٠٠)، ص ٣٢.

٧٨) Shahid, Ghassanid and Umayyed Structures, 302-303.

٧٩) طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٢٤.

٨٠) عبد الرحمن سالم، المسلمون والروم، ص ٤٣-٤٤.

٨١) انظر: محمد فتحي الشاعر، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي، عصر جوستنيان (القاهرة، ١٩٨٩)، ص ١٦٦-١٧١؛

P. Ure, Justinian and his Age (London 1951), 68, 74-75.

عن أسباب تصدع العلاقة بين المنذر والإمبراطور جستين الثاني انظر: يوحنا الأسيوي، تاريخ الكنيسة، ص ٩٠-٩٣؛ أسد رستم، الروم، ج١، ص ٢٠٣.

٨٢) نولدكة، أمراء غسان، ص ٢٥-٣١؛ بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، ص ٥٧٢-٥٧٤؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٢٥.

٨٣) عبد الرحمن سالم، المسلمون والروم، ص ٤٤-٤٥.

٨٤) عن تفاصيل حروب الغساسنة مع موريس ضد الفرس وفي عهد تيبريوس انظر: يوحنا الأسيوي، تاريخ الكنيسة، ص ٦٢-٦٥، ١٠٦- ١٠٧؛ أسد رستم، الروم، ج١، ص ٢٠٣-٢٠٦.

٨٥) ليلى عبد الجواد، هرقل، ص ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٧٢ : حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ٣٧.

٨٦) Shahid, Ghassanid and Umayyed Structures, 302.

٨٧) الواقدي، فتوح الشام، ج١، (بيروت، د.ت.)، ص ١٧٠؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٣٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٢٧.

٨٨) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١٣٩-١٤٠.

٨٩) Theophanes, Chronographia, 467. Cf. also Agapius de Menbidj, Kitab al-'Unvan, Histoire Universelle, ed. et trad. fran. A. Vasiliev, PO 8(Paris 1912), 468-469.

٩٠) تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٨٦؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٤٢.

٩١) تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٠٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٨٩-١٩٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (بيروت، ١٩٨٧)، ص ٥-١٤.

٩٢) عنهما انظر: الواقدي، كتاب المغازي، ج٣، ص ٩٨٩-١٠٧٦، ١١١٧-١١٢٧؛ تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ٩٢، ١٠٠-١٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٤٩-١٥٢، ١٨٢، ١٩٩-٢٠٠؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٣٦٢-٣٦٥، ج٤، ص ٧٣-٧٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، المغازي، ص ٦٢٧-٦٤٣، ٧١٣-٧١٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ١٩-٢١.

٩٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٣٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٣١-٣٣٣، ٣٣٥؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١١٥-١١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٥٢-٢٥٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ٨١؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٤؛ السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب: تاريخ الدولة العربية، ج٢ (الإسكندرية، ١٩٩٣)، ص ٢٠١-٢٠٢؛ Stratos, Byzantium in the Seventh Century, II,137,

٩٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، تحقيق لجنة تحقيق التراث (بيروت، ١٩٩٣)، ص ٢٦٤.

٩٥) البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت، ١٤١٣هـ)، ص١١٦؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص٢٠١-٢٠٢.

٩٦) Agapius de Menbidj, Kitab al-'Unvan, 468.

٩٧) Ghévond, Histoire des guerres et des conquêtes des Arabes en Armenie, trad. Fran. G. V. Chahnazarian (Paris 1856), 2.

انظر أيضا: فايز نجيب اسكندر، الفتوحات الإسلامية لأرمينية (الإسكندرية، ١٩٨٠)، ص ١٧.

٩٨) البلاذري، فتوح البلدان، ١١٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٤١؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص ٢٠٢؛ كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١٣٧، ١٤٢-١٤٣.

٩٩) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١٤٧.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٠٠ Chronique de Michael le Syrien, ed. et trad. fra. J. B. Chabot, II (Paris 1904), 413; Stratos, Byzantium in the Seventh Century, II, 49.

(١٠١ Theophanes, Chronographia, 467; Agapius de Menbidj, Kitab al-'Unvan, 469.

(١٠٢ Theophanes, Chronographia, 468.

١٠٣) السكيلاريوس: لقب وظيفي بيزنطي كان يعني أمين الخزانة الإمبراطورية، التي كانت تتلقى الفائض المرسل من المقاطعات الإمبراطورية. وقد تولى السكيلاريوس في القرن السابع الميلادي بصفة خاصة المهام المالية للوزراء، الذين كانوا يديرون المقاطعات؛ حيث أصبحت الخزانة وزارة مهمة. انظر:

Bury, The Imperial Administrative System, 85.

١٠٤) كان السكيلاريوس ثيودور واحداً من خصيان الإمبراطور هرقل، ممن نالوا الحظوة عنده حتى أصبح أميناً للخزانة الإمبراطورية. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٢٨.

١٠٥) عند هذا الحد تتفق رواية ثيوفانيس مع رواية البطريرك نقفور. انظر:

Nikephoros, Short History, 69.

١٠٦) تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١١٩-١٢١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٣٥، ٣٤٨؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٢٩-١٣١؛ ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص ٥٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ٨٧؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٥؛ رفيق بك العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام (القاهرة، ١٩٢١)، ص ١٣٧؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص ٢٠٧؛ عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون (بيروت، ١٩٧٩)، ص ١٠٨. يجعل اليعقوبي مدة حكمه سنتين وأربعة أشهر. انظر: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٣٨.

١٠٧) الواقدي، فتوح الشام، ج١ ، ص ٢٧-٣٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٤٦؛ رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٧٣-٧٤؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٥؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٤٣-٤٤؛ كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١٦٣؛ Chronique de Michael le Syrien, II, 417; G. Cedrenus, Compendium Historiarum, col. 815; Stratos, Byzantium in the Seventh Century, II, 52, 53-54.

١٠٨) فتوح الشام، ج١، ص ١٨.

١٠٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٠-١٥٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٤٧؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٢٣؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٤-١٨٥؛ كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص١٤٨-١٥١.

١١٠) تخطيء الترجمة الانجليزية لسيبيوس بجعلها اسم ثيودوسيوس بدلا من ثيودور، طبقا للترجمة الفرنسية. انظر:

Sebèos, Histoire d' Hèraclius, 96: Sebeos History,chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm

١١١) Theophanes, Chronographia,468; Cedrenus, Compendium Historiarum, col. 815.

١١٢) فتوح البلدان، ص ١٢٠، ١٢١.

١١٣) ليلى عبد الجواد، هرقل، ص ٣٦٦.

١١٤) Nikephoros, Short History, 69.

١١٥) Theophanes, Chronographia,468; Cedrenus, Compendium Historiarum, col. 815.

١١٦) كان نهر اليرموك ينبع من مرتفعات حوران ويصب في نهر الأردن جنوبي بحيرة طبرية. وعلى نحو ثلاثين ميلا من التقائه بنهر الأردن يكون في الطرف الشمالي شرجاً على شكل نصف دائرة يحيط بسهل متسع. انظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٦: Ali, A Short History, 37.

١١٧) طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٤٥.

١١٨) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ١٦٧-١٦٩؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٦.

١١٩) فايز نجيب اسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس (صنعاء، ١٩٩٣)، ص ٢٤.

١٢٠) Sebèos, Histoire d' Hèraclius, 96; Sebeos, History,chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm

١٢١) Idem.

١٢٢) يذكر البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٢، أن المسلمين كانوا آنذاك في الواقوصة يوم وفاة أبي بكر. انظر أيضا: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٥٩؛ ١٢٣١٠ Ali, AShort Hisory, 38.

١٢٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٣٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٦٠؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص ٢٠٧؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٦.

١٢٤) لمزيد من التفاصيل عن موقعة اليرموك انظر: الواقدى، فتوح الشام، ج١، ص١٦٠ وما بعدها؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٠-١٤٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٣٥-٣٣٩؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١١٨-١٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٥٤-٢٦٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ١٣٩-١٤٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ص ٨-٢١؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٥-١٨٧؛ ليلى عبد الجواد، هرقل، ص ٣٧١-٣٧٩؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص ٢٠٥-٢٠٨؛ عبد

الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص ٩٥-١٠٢؛ فايز نجيب اسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس ، ص ٢٤-٢٦؛ كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١٦٧-١٧٥؛ Nikephoros, Short History, 69; Cedrenus, Compendium Historiarum, col.815. Cf. also D. Nicolle, Yarmuk 636 AD. the Muslim Conquest of Syria (London 1994), 65-83.

١٢٥) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ٢٣٢-٢٣٣؛ Nicolle, Yarmuk 636 AD, 86.

١٢٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٢.

١٢٧) Theophanes, Chronographia, 468.

١٢٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٢؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول (بيروت، ١٩٥٨)، ص ١٠٢؛ Stratos, Byzantium in the Seventh Century, II, 73.

١٢٩) أطلقت المصادر البيزنطية لفظة السراقنة على العرب، لاسيما القاطنين شبه الجزيرة العربية؛ وكان يرادفها أيضا مصطلح الإسماعيليون، نسبة إلى إسماعيل بن إبراهيم، أو الهاجريون، نسبة إلى السيدة هاجر زوج الخليل إبراهيم. ويقول بعض المؤرخين أن السراقنة نسبة إلى السيدة سارة، زوج الخليل إبراهيم؛ والبعض الآخر يقول أنها تعني البدو سكان الخيام، كمعنى لغوي حرفي. وهو المعنى الذي أطلق أيضا على الغساسنة في الشام، على الرغم من أنهم كانوا أكثر تطورا وحضارة وثقافة من بني ذويهم في شبه الجزيرة العربية. (انظر: Shahid, Ghassanid and Umayyed Structures, 299.) وبعد ظهور الإسلام وانتشاره ظلت المصادر البيزنطية تطلق نفس المسميات القديمة على المسلمين، ونعتتهم بصفات لاذعة. عن المسميات والصفات التي أطلقتها المصادر البيزنطية على العرب انظر:

Constantelos, The Moslem Conquests of the Near East,327; E.Jeffreys, The Image of the Arab in Byzantime Literature The 17th International Byzantine Congress,Washington, 1986 (New York 1986), 306 ff; A. Savvides, Some Notes on the Terms Agarenoi, Ismaelitai and Sarakenoi in the Byzantine Sources Byz. 67(1997), 89-96.

١٣٠) Theophanes, Chronographia,469-470.

١٣١) F.R. Trombley, "Military Cadres and Battle during the Reign of Heraclius" in The Reign of Heraclius (610-641) Crisis and Confrontation, eds. G. J. Reinink and B. H. Stolte (Leuven-paris 2002), 250.

١٣٢) Sebèos, Histoire d' Hèraclius, 97-98; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm; Trombley, Military Cadres,250.

فايز اسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس، ص ٢٥. يلاحظ أن المؤرخ الأرمني جيفوند نقل عن سيبيوس معظم أسباب هزيمة البيزنطيين في اليرموك. انظر: Ghévond, Histoire des guerres et des conquêtes des arabes en .3 ,einemrA

(١٣٣ Sebèos, Histoire, d' Hèraclius, 97; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

(١٣٤ Idem

فايز اسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس، ص ٢٤-٢٥.

(١٣٥ Ghévond, Histoire des guerres et des conquêtes des arabes en Armenie, 3.

(١٣٦ انظر: كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١٧٤.

(١٣٧ Nikephoros, Short History, 69.

(١٣٨ Sebeos' Histoire, d' Hèraclius, 96-97; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

فايز اسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس، ص ٢٤.

(١٣٩ Nikephoros, Short History, 69.

(١٤٠ فايز اسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس، ص ٢٥-٢٦.

(١٤١ Theophanes, Chronographia,469-470.

(١٤٢ الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ٢١٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤ (بيروت، د.ت.)، ص ١٣٨، ١٩٦؛ تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٣٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٢٨؛ ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، ص ٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٨١، ٣٤٢؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ج١(الكويت، ١٩٤٨)، ص ١٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ١٣٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٠٣؛ الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١ (بيروت، د.ت.)، ص ٢٧؛ محمد جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية (القاهرة، ١٩٧٩)، ص ٤٤-٤٥؛ فايز نجيب اسكندر، الفتوحات الإسلامية لأرمينية، ص ٢١؛ عائشة أبو الجدايل، الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي، ص ٢٠٢؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٤٦.

Nicolle, Yarmuk 636AD, 75; W.E.Kaegi, "Reflections on the Withdrawal of the Byzantine Armies from Syria", in: La Syrie de Byzance a L'Islam VII-VIII Siècles, actes du colloque International, Lyon-Maison de I'Orient Mèditerranèen, Paris, Institut du Monde Arabe, 11-15 Septembre 1990 (Damas 1992), 365; Idem, Byzantum and the Early Arab Conquests (Cambridge 1997), 114ff.

(١٤٣ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٥٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٥٢ وما بعدها؛ رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٧٦-٧٧؛ Ali, A Short History، ٧٣.

١٤٤) فتوح البلدان، ص ١٢٢. يبدو هنا أن البلاذري نقل عن مصدرين مختلفين، حيث عاد وقال أن معركة اليرموك وقعت عام ١٥هـ/٦٣٦م. انظر: فتوح البلدان، ص ١٤٢.

١٤٥) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٣٩.

١٤٦) تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٣٤-٣٣٥.

١٤٧) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٢٣.

١٤٨) Agapius de Menbidj, Kitab al-'Unvan, 469.

١٤٩) Theophanes, Chronographia,470.

١٥٠) Sebeos' Histoire, d' Hèraclius, 98; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

١٥١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٦٠، ٤٢٨؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٥٥.

١٥٢) تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٣٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص١٤٠.

١٥٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٣٤.

١٥٤) Theophanes, Chronographia, 468.

١٥٥) Cedrenus, Compendium Historiarum, col. 815.

١٥٦) فتوح الشام، ج١، ص ٣٠٩.

١٥٧) فتوح البلدان، ص ١٢٠، ١٢١. انظر أيضاً: L. I. Conrad, :Heraclius in Early Islamic Keygma", in the Reign of Heraclius (610- 641) Crisis and Confrontation, eds. G.J. Reinink and B. H. Stolte (Leuven- Paris 2002), 131.

١٥٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٢.

١٥٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٢.

١٦٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٥٩؛ الدمشقي، شذرات الذهب، ج١، ص ٢٧.

١٦١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٢٢.

١٦٢) الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٦٢.

١٦٣) الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٤١؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، ١٩٧٥)، ص ١٦٤.

١٦٤) Chronique de Michael le Syrien, II, 424. Cf. also Kaegi, Reflections on the Withdrawal of the Byzantine Armies from Syria, 266.

١٦٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٢؛ ليلى عبد الجواد، هرقل، ص ٣٨٢-٣٨٤؛ عائشة سعيد أبو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدايل، الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي دراسة في التطورات والتغيرات (الرياض، ١٩٩٥)، ص ٢٠٢.

١٦٦) الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٤١.

١٦٧) رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٢٥٩-٢٦٠.

١٦٨) Kaegi, Reflections on the Withdrawal of the Byzantine Armies from Syria, 266.

١٦٩) Stratos, Byzantium in the Seventh Century, II, 56.

١٧٠) Kaegi, Byzantium and the Early Arab Conquests, 74-83.

١٧١) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ١٢١.

١٧٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٢٨.

١٧٣) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ٣١١.

١٧٤) الواقدي، فتوح الشام، ج٢، ص ٥-١٦.

١٧٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ٣٥٩؛ ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص ٩١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ١٢٣؛ الدمشقي، شذرات الذهب، ج١، ص ٢٦؛ رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٢٢٠-٢٢١؛ عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص ٢٠٧-٢٠٨. يشير أغابيوس إلى أن خالد بن الوليد هو الذي قام بفتح دمشق وبقية مدن الشام. انظر: Agapius de Menbidj, Kitab al-'Unvan, 470; Constantelos, The Moslem Conquest of the Near East, 326.

١٧٦) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٧-١٣٠؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٤٠؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٤٢-١٤٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٧٨-٢٧٩؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص ٢٠٨-٢٠٩. لمزيد من التفاصيل حول فتح العرب لدمشق، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص ٢٧-٣٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص١٢٣-١٢٥؛ رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٢١٧-٢٢٦؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٧-١٨٨؛ ليلى عبد الجواد، هرقل، ص ٣٦٨-٣٧١، ٣٧٩-٣٨١.

١٧٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٦-١٣٧.

١٧٨) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٦-١٤٠؛ تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٣٤-١٣٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٥٩ وما بعدها؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٤٤-١٤٥، ١٩٠-١٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٨٠-٢٨١، ٣٣٩-٣٤٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ١٢٨، ١٦٢؛ رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٢٣٥-٢٣٩، ٢٥٨-٢٥٩، ٢٦١-٢٦٦؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص ٢٠٩-٢١٠؛ عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص ٢٠٩-٢١٤. يرى قسطنطيلوس وبوجامرا أنها فتحت عام

٦٣٨م. انظر:

Constantelos, The Moslem Conquest of the Near East, 326; Boojamra, Christianity in Greater Syria, 153.

١٧٩) Theophanes, Chronographia, 473; Agapius de Menbidj, Kitab al-Unvan, 470

١٨٠) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٣٨، ١٥٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤٠١؛ عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، عصر الخلفاء الأمويين (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ١٧.

١٨١) أي المسجد الأقصى، وقد بناه داوود عليه السلام، على أساس قديم، بأمر من الله تعالى، ثم أكمل البناء سليمان عليه السلام على الصورة التي كانت من عجائب الدنيا. وقد زينه بالذهب والفضة والدر والياقوت والمرجان وشتى أنواع الجواهر في شتى أرجائه. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ١٧٣-١٧٤؛ المقدسي، أبي المعالي، فضائل بيت المقدس، تحقيق أيمن نصر الدين الأزهري، (بيروت، ٢٠٠٢)، ص ١٧-٢٧ المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (القاهرة، ١٩٩١)، ص ١٦٨؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج ١، ص ١١٣-١٢٦؛ المقدسي، شهاب الدين، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد الخطيمي، بيروت، ١٩٩٤)، ص ١٣١-١٥١.

١٨٢) Theophanes, Chronographia, 471-472.

١٨٣) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ٢٢٩-٢٣٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٤؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ٢٢٨-٢٣١.

١٨٤) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ٢٣٨-٢٤٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٤-١٤٥؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٤٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٤٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص ٧٤-٨٠؛ Cedrenus, Compendium Historiarum, col. 815 انظر أيضا: المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٥٣-٦٢. وطبقا لهؤلاء المؤرخين كان نص هذا الكتاب كالتالي: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يخرجوا منها الروم. . .إلى نهاية الكتاب. وقد شهد على هذا العهد خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان، وذلك في عام ١٥هـ/٦٣٦م. انظر أيضاً: السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ٢٣٢-٢٣٣؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ١٦١-١٦٢؛ محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة (القاهرة، د.ت.)، ص ٢٨٦-٢٨٧؛ عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص ٢١٤-٢١٨؛ جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية، ص ٤٦. وجدير بالذكر هنا أن عمر بن الخطاب لم يشأ أن يتخذ من كنيسة قسطنطين مسجدا،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حيث صلى خارجها، حتى لا يتخذها المسلمون الصلاة في الكنائس سنة من بعده، وبهذا يخالفون عهده مع أهل الذمة. انظر: Ali, A Short History, 39-40.

(١٨٥ Sebéos; Histoire, d' Hèraclius, 98; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

١٨٦) جدير بالذكر أن هيكل سليمان، أو المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام، قد دمر ثلاث مرات قبل ظهور الإسلام بعدة قرون، أولها على أيدي الملك نبوخذ نصر، عام ٥٨٨-٥٨٧ ق.م، وقد أعيد بناء المعبد عام ٥٢٠-٥١٥ ق.م؛ وثانيها في عهد انطيوخس الرابع، ملك السلوقيين، بعد قمع الفتنة التي قام بها اليهود عام ١٧٠ ق.م، وقد أعيد بناءه للمرة الثانية على أيدي هيرودوس، الذي أصبح حاكما على اليهود عام ٤٠ ق.م، بمساعدة الرومان. ومما يؤكد وجود الهيكل في مستهل القرن الأول الميلادي ما ورد في إنجيل متى من قيام السيد المسيح بتطهير الهيكل من مواضع التجار به، حيث قال: «بيتي بيت الصلاة يدعى. وانتم جعلتموه مغارة لصوص» انظر إنجيل متى (القاهرة، ٢٠٠٠)، الإصحاح ٢١، ص ٣٠؛ انظر أيضا، الإصحاح ٢٣، ص ٣٤. وثالثها في الستينات من القرن الأول الميلادي، على أيدي القائد الروماني تيتوس، على أثر ثورة قاموا بها ضده؛ ثم قام الإمبراطور هادريان بهدم ما تبقى منه وحرث مكانه، وأصدر مرسوماً في عام ١٣٢م يفرض بموجبه عدة قيود على اليهود منها تحريم دخولهم بيت المقدس عدا مرة واحدة في العام ليسمح لهم بالبكاء أمام خرائب الهيكل؛ ومن ثم لا دليل تاريخي على وجود هيكل سليمان بالقدس أو على وجوب اتخاذ اليهود من المسجد الأقصى مصلى لهم، كما يصور ثيوفانيس. انظر: المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٢٩-٥٠؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ١٢٤-١٢٦؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ١٤٩-١٥٠؛ عادل حسن غنيم، حائط البراق أم حائط المبكى (القاهرة، ٢٠٠١)، ص ٧-٨، ٢١-٢٢؛ زبيدة عطا، اليهود في العالم العربي (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص ٣٣-٣٧.

١٨٧) انظر أيضا نفس الاتهام في: Cedrenus, Compendium Historiarum, col. 815.

١٨٨) تجدر الإشارة إلى أن عمر بن الخطاب أقر مجموعة من الشروط التي تعنى بتنظيم العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة، ومعاملات أهل الذمة داخل المجتمع الإسلامي، وهي تعرف باسم «الشروط العمرية». وتنقسم هذه الشروط إلى ستة أقسام الأول منها: في أحكام البيع والكنائس والصوامع وما يتعلق بذلك. الثاني: في أحكام ضيافتهم للمارة بهم وما يتعلق بذلك. الثالث: فيما يتعلق بضرر المسلمين والإسلام. الرابع: فيما يتعلق بتغيير لباسهم وتمييزهم عن المسلمين في المركب واللباس وغيره. الخامس: فيما يتعلق بإظهار المنكر من أفعالهم وأقوالهم مما نهوا عنه. السادس: في أمر معاملتهم للمسلمين بالشركة ونحوها. وهذه الشروط منشورة في: ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، ج٣ (الدمام، ١٩٩٧)، ص ١١٥٩-١٤٥٧.

(١٨٩ Sebéos; Histoire, d' Hèraclius, 102; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

(١٩٠ Idem.

١٩١) انظر هامش رقم ١٨٤ من البحث.

١٩٢) تاريخ ملوك القسطنطينية، مخطوط مجهول المؤلف، دار الكتب المصرية، رقم ١٦٤٩ تيمور، ورقة ٩٧.

١٩٣) زبيدة عطا، اليهود في العالم العربي، ص ٧٨.

١٩٤) الواقدي، فتوح الشام، ص ٢٤٣؛ المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٦٢؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ٢٢٧.

١٩٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٥٠؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٩٣؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ٢٤٠-٢٤١؛ رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٢٤٩-٢٥١؛ عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص ٢١٧-٢١٨.

١٩٦) كان المسجد الأقصى قبلة المسلمين في أول الدعوة، ثم أمر الله الرسول ﷺ بتحويل القبلة بعد ذلك نحو المسجد الحرام بمكة المكرمة، وذلك بسبب قول اليهود «يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا». فقال الرسول لجبريل: وددت أن الله صرف وجهي عن قبلة يهود. فقال جبريل إنما أنا عبد فادع ربك وسله، وجعل إذا صلى إلى بيت المقدس يرفع رأسه إلى السماء ينتظر أمر الله. فنزلت عليه الآية التالية: «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام» (سورة البقرة، ١٤٤)، فُوجه نحو الكعبة. ويُذكر أن الرسول ﷺ صلى ركعتين من الظهر بالمسلمين في مسجده نحو قبلة المسجد الأقصى ثم أمر أن يتوجه نحو المسجد الحرام فاستدار ودار معه المسلمون. انظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ٦٣-٦٤؛ المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ١٢٢-١٢٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٧-١٨؛ محمد رضا، محمد رسول الله، ص ١٤٦؛ عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ص ٨٩.

١٩٧) حائط البراق هو الحائط الذي يحد الحرم القدسي الشريف من الغرب، وعنده ربط الرسول ﷺ البراق عندما أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. انظر: المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ١٥٣؛ عادل غنيم، حائط البراق أم حائط المبكى، ص ١٩. وهو جزء من سور المسجد الأقصى الذي بناه داوود وسليمان عليهما السلام. السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ١٩١- ١٩٥.

١٩٨) أُسري بالرسول ﷺ ذات عشاء، قبل الهجرة بسنة، على البراق من مكة إلى بيت المقدس فوجد هناك إبراهيم وموسى وعيسى وعدداً من الأنبياء معهم، حيث صلى بهم، ثم عُرج به إلى السموات العلى، حيث رأى من آيات ربه الكبرى ما رأى، وفرضت عليه الصلاة فكانت خمسين صلاة في اليوم، ثم سأل ربه التخفيف فوضعها عنهم إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة؛ ثم عاد إلى بيت المقدس ومنها إلى مكة. وقد صار لغط بين أهل قريش عندما حدثهم الرسول ﷺ بما وقع له، ولم يصدقوه إلا بعد أن وصف لهم بيت المقدس تماماً كما يعرفونه. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ٣٠٩-٣١٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٣٢-٣٩؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٦؛ الطبري، تاريخ

الرسل والملوك، ج١، ص ٥٣٦–٥٣٧؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٢٥–٣٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٧٨–٥٨١؛ المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ١٥٣–١٦٠؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ١٦٥–١٧٥؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ٢٦٥–٢٦٨؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ١٠١–١٠٦؛ محمد رضا، محمد رسول الله، ص ١١٤–١٢١؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ص ١٢٨–١٣٠.

(١٩٩ Constantelos, The Moslem Conquests in the Near East, 328-330.

(٢٠٠ Ibid., 332.

٢٠١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٩٣؛ جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية، ص ٤٦.

٢٠٢) تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٣٥؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٤٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٤٧، ٣٤٩؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى،ج١، ص ٢٤٠؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ص ٢١٠–٢١١؛ ليلى عبد الجواد، هرقل، ص ٣٨٤–٣٨٨؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٤٨–٤٩؛ Boojamra, Christianity in Greater Syria, 152-153. يقول البلاذري أن إيلياء فتحت عام ١٧هـ/٦٣٨م. انظر: فتوح البلدان، ص ١٤٤، ويأخذ برأيه المؤرخ اليوناني قونسطنطيلوس. انظر: Constantelos, The Moslem Conquest of the Near East, 326.

(٢٠٣ Theophanes, Chronographia, 476.

٢٠٤) انظر هامش رقم ١٨٤ من الدراسة.

٢٠٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٨٥–٤٨٧، ٤٩٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٠٠–٤٠٣؛ عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص ٢١٩–٢٢١.

(٢٠٦ Sebéos; Histoire, d' Hèraclius, 102; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

٢٠٧) زبيدة عطا، اليهود في العالم العربي، ص ٧٨.

٢٠٨) تشير إحدى الروايات التاريخية إلى أن عمر بن الخطاب سأل صفرونيوس عن موضع الصخرة، وأن الأخير اصطحبه معه ليدله عليها. غير أن صفرونيوس ضلله فذهب به مرة إلى كنيسة القيامة وأخرى إلى كنيسة صهيون وأخيرا ذهب به إلى مسجد بيت المقدس؛ حيث عرفه عمر بن الخطاب من وصف الرسول له. انظر: المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٦٣–٦٧؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى،ج١، ص ٢٣٦؛ ج٢(القاهرة، ١٩٨٤)، ص ١٧٧؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ١٦٥–١٦٧.

٢٠٩) حاول البيزنطيون تشييد كنيسة لهم فوق الصخرة المقدسة، غير أن البناء سقط أربع مرات، وطبقا لنصيحة أحد الشيوخ أشار عليهم بالبناء في موضع آخر، بعد أن أخبرهم أن مكان هذه الصخرة ملعون وأن القدس نزع منه وتحول إلى الموضع الذي بنوا عليه كنيسة القيامة. وهكذا بدأوا في تقطيع

الصخرة المقدسة ليبنوا من حجارتها الكنيسة، وبعد أن فرغوا من البناء جعلوها موضعا للقمامة نكاية في اليهود. انظر: المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٤٥-٤٨؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ١٢٨-١٣٠؛ ج٢، ص ١٧٦؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ١٥١-١٥٣. وهذا جعل بعض المؤرخين المسلمين يطلقون على هذه الكنيسة اسم كنيسة قمامة، لقربها من تلك المزبلة.

٢١٠) المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٦٦؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ١٦٧.

٢١١) انظر: المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٦٣-٧١؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ٢٣٧-٢٣٨؛ ج٢، ص ١٧٧-١٧٩؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ١٦٧-١٦٨؛ رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٢٥٢.

٢١٢) تاريخ ملوك القسطنطينية، مخطوط مجهول المؤلف، ورقة ٩٩. تقول الرواية حرفيا: «...وفي السنة الثانية من ملكه (أي قنسطانز) عمر الهيكل بأورشليم ولم يثبت البنا، الذي ابتناه، لكنه وقع، والعلة لأجل أن اليهود أخذوا الصليب الذي كان في الكنيسة فوق جبل الزيتون...»

٢١٣) زبيدة عطا، اليهود في العالم العربي، ص ٧٨.

٢١٤) Theophanes, Chronographia, 472.

٢١٥) فتوح الشام، ج١، ص ٢٣٩-٢٤٠. انظر أيضا: السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ٢٣٢؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ١٦٠.

٢١٦) Theophanes, Chronographia, 474.

٢١٧) كانت قيصرية من أهم مدن فلسطين بعد بيت المقدس، حيث كانت تحوي في القرن السادس عددا من الكنائس مثل كنائس سانت أوفيميا، وسانت ماري الصغرى، وسان أنستاسيوس الفارسي، وكنيسة المسيح الأكثر قدسية، وقلعة ذات سجن، وبرايتوريوم وغيرها من المنشآت. انظر:
W. E. Kaegi, The Israel Exploration «Some Seventh-Century Sources on Caesarea», Journal 28 (1978), 179.

٢١٨) Theophanes, Chronographia, 475.

٢١٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٥٠؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٩١.

٢٢٠) الواقدي، فتوح الشام، ج٢، ص ٣٦؛ تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٤١.

٢٢١) فتوح البلدان، ص ١٤٦؛ عائشة أبو الجدايل، الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي، ص ٢٠٢

٢٢٢) Sebéos; Histoire, d' Hèraclius, 101; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢٢٣ Ghévond, Histoire des guerres et des conquêtes des Arabes en Armenie, 4.

(٢٢٤ J.W. Watt,"The Portrayal of Heraclius in Syriac Historical Sources" in The Reign of Heraclius (610-641) Crisis and Confrontation, eds. G. J. Reinink and B. H. Stolte (Leuven-Paris 2002), 74.

(٢٢٥ عن هذه الكتابات انظر:

A, Khoury, Les thèologiens byzantins et l'Islam(Paris 1969), 47 ff; A. Abou-Seada, Byzantium and Islam (9th- 10th)A Historical Evaluation of the Role of Religin in Byzantine-Muslim Relations, ph.D. Dissertation (Birmingham 2000), 19 ff.

(٢٢٦ Proudfoot, The Sources of Theophanes, 396-397.

(٢٢٧ لمزيد من التفاصيل عن مصادر ثيوفانيس انظر:

Proudfoot, The Sources of Theophanes, 367-439; N. Pigulevskaya, "Theophanes, Chronographia and The Syrian Chronicles," JOP 16(1967), 55ff.

(٢٢٨ Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, ed. G. Moravcsik, Eng. trans. R. J. H. Jenkins, I (Budapest 1949), chap. 14, 76-79.

(٢٢٩ Ibid.,77

(٢٣٠ Idem

(٢٣١ Ibid., 77-79.

(٢٣٢ Ibid., 79.

(٢٣٣ Theophanes, Chronographia, 464-465.

(٢٣٤ Constantine Porphyrognetius, DAI, I, 79.

(٢٣٥ Idem., Theophanes, Chronographia, 465.

(٢٣٦ Constantine Porphyrognetius, DAI, I, 80-83.

(٢٣٧ Ibid., chap. 18, 83.

(٢٣٨ Ibid., chap. 18-19, 83.

انظر أيضا محمود سعيد عمران، إدارة الإمبراطورية البيزنطية للإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٧٧.

٢٣٩) انظر: كارين أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عنان (القاهرة، ١٩٩٨)، ص ١٧-١٩.

٢٤٠) تتجلى أهمية رواية سيبيوس في أنه عاش في القرن السابع الميلادي ومن عدد المؤرخين الأرمن الذين نقلوا عنه بعد ذلك وتأثروا بكتاباته، مثلما تأثر المؤرخون البيزنطيون بحولية ثيوفانيس المعترف. لمزيد من التفاصيل عن أهمية سيبيوس التاريخية في التاريخ الأرمني انظر: فايز اسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس، ص ١٧-٢٢.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢٤١ Sebéos' Histoire, d' Hèraclius, 95; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

٢٤٢) سفر التكوين، الإصحاح ١٢/٧.

(٢٤٣ Sebeos' History, d' Hèraclius, 95-96; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

٢٤٤) عن محمد ﷺ واليهود انظر: محمد عزة دروزة، اليهود في القرآن الكريم، ص ٢٨-١٢٨.

(٢٤٥ Agapius de Menbidj, Kitab al-'Unvan, 456-457.

(٢٤٦ Ibid., 471.

(٢٤٧ Severus ibn Al -Muqaffa', Alexandrinische Patriarchen Geschichte, ed. C. F. Seybold, Band III (Hamburg 1912), 99.

(٢٤٨ History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria, ed. and Eng. trans. B. Evetts, vol. II, PO I(Paris 1907), 402-403.

٢٤٩) يشير ساويرس بن المقفع إلى نقطة مهمة حيث يرد الهزائم التي لقيها البيزنطيون من المسلمين لـ «أمانتهم (أي البيزنطيين) الفاسدة والمحرمات التي قبلوها بقبولهم (قرارات) مجمع خلقدونية من الآباء الأوائل». انظر: Severus ibn Al -Muqaffa', 99. وبهذا يعكس الصراع الديني الذي كان قائماً بين كنيستي الإسكندرية والقسطنطينية قبل دخول العرب إلى مصر. ويشير السنكسار السكندري إلى سياسة التسامح التي اتبعها عمرو بن العاص مع المسيحيين المصريين، حيث جد في طلب عودة الأنبا بنيامين ثانية إلى كنيسته، التي اختفى عنها زهاء عشر سنين، على أثر سياسة هرقل الدينية الجائرة، ليدير بيعته وسياسة طائفته، وقد منحه كتاب أمان. وعندما عاد إلى الإسكندرية تهللت أسارير المصريين المسيحيين وفرحوا بقدومه. انظر: History of the Patriarchs, II, 496.

٢٥٠) راجع: رأفت عبد الحميد، الإمبراطورية البيزنطية، ج١، العقيدة والسياسة (القاهرة، ٢٠٠٠)، ص ٢٦٦-٢٦٧.

٢٥١) عن غزوات العرب في آسيا الصغرى في القرنين السابع والثامن الميلاديين انظر:
H.Ahrweiler, "L' Asie Mineure et les invasions Arabes VII-IX, RH227/I (1963), 1-32.

٢٥٢) يشير المؤرخون إلى أن العرب هاجموا القسطنطينية ثلاث مرات، حيث أرسل معاوية حملته الأولى ضد القسطنطينية في عام ٦٦٨م/٤٨هـ، بقيادة فضالة بن عبيد الأنصاري، وكانت حملة استكشافية. انظر: Theophanes, Chronographia,492. انظر أيضاً إبراهيم العدوى، الأمويون والبيزنطيون (القاهرة، ١٩٦٣)، ص ١٦٢ – ١٦٥؛ صلاح العاوور، «المحاولات العربية لفتح القسطنطينية في العصر الأموي» مجلة المؤرخ العربي، عدد ٨(٢٠٠٠)، ص ٣٨١؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٨٨-٨٩. أما الحملة الثانية فكانت في عهد معاوية أيضا، ويجعلها البعض تستمر

لمدة سبع سنين. انظر: Theophanes, Chronographia, 493 - 495; Nikephoros, Short History, 85-87.
Cf. also M. Canard, Les expéditions des arabes contre Constantinople, JA 208 (1926), 77-80.

«إبراهيم العدوى، الأمويون والبيزنطيون، ص١٧٢–١٧٨؛ صلاح العاوور، المحاولات العربية لفتح القسطنطينية، ص ٣٨٠–٣٨٥؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٩٠–٩٤؛ أحمد رمضان أحمد، تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط، العصر الوسيط (القاهرة، د.ت.)، ص ١٦؛ إبراهيم العدوى، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط (القاهرة، ١٩٥٧)، ص٤٨–٥٥. أخيراً فإن الحملة الثالثة قام بها مسلمة بن عبد الملك عام ٧١٧م/٩٩هـ، انظر: Theophanes, 545-550; Nikephoros, 117ff; ابن كثير البداية والنهاية، ج٥ ، ص ٢٢٣ – ٢٢٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص ٣٣١ – ٣٣٢؛ كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق (بغداد، د. ت.)، ٢٤–٣٣. انظر أيضاً، Canard, Les expèditions, 94 ff; R. Guilland, "L' expèditions de Maslama Contre Constantinople", Al-Mashreq (Bierut 1955), 89-112.

انظر أيضاً: وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، (الإسكندرية ،١٩٨١)، ص ١٢١ – ١٧٥؛ ليلى عبد الجواد، «دور البلغار في مواجهة حملة مسلمة بن عبد الملك على القسطنطينية»، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٦(١٩٩١)، ص ٨٣–١١٤؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ١٠٥ – ١١٤ ؛ صلاح العاوور، المحاولات العربية لفتح القسطنطينية، ص ٣٨٦– ٣٨٩.

٢٥٣) W.E. Kaegi, :Initial Byzantine Reflections to the Arab Conquest",Ch Hist 38/2 (1969), 142

٢٥٤) Ibid.,139.

اعتقد المدعو ميثوديوس أن نجاح العرب في فتوحاتهم إنما يعود إلى أخطاء البيزنطيين، لاسيما تجاوزاتهم الجنسية بصفة خاصة. انظر: Ibid., 143.

٢٥٥) Jeffreys, The Image of the Arabs in the Byzantine Literature, 316; D.J Sabas, "Eighth Century Byzantine anti-Islamic Literature", BSL 57 (1996), 229-230.

٢٥٦) انظر: Theophances, Chronographia, 563-565; Boojamra, Christianity in Greater Syria, 155. Cf. also L. Brèhier, La querelle des images VIII-IX siècles (Paris 1904); E.J. Martin, AHistory of the Iconoclastic Controversy (London 1930).

انظر أيضا: السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص ١٧٧. يسرد زوناراس بالتفصيل قضية تأثر ليو الثالث بما فعله يزيد بن عبد الملك، الذي قام بتحطيم الصور الدينية من الكنائس الواقعة في ظل الخلافة الإسلامية؛ وعلى هذا فقد وصفه بالطاغية وغيرها من الألفاظ الشديدة اللهجة، كما يذكر أن يزيد فعل هذا تحت تأثير يهودي. انظر: I. Zonaras, Epitomae Historiarum, ed. M. Pinderi, CSHB, III (Bonn 1897), 257 ff.; Boojamra, Christianity in Greater Syria, 155.

٢٥٧) السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص ١٨١.

(٢٥٨ Constantelos, The Moslem Conquests of the Near East, 350.

(٢٥٩ Meyndorff, Byzantine Views of Islam. Ibid., 352-353; Jeffreys, The Image of the Arabs in the Byzantine Literature, 317; J. DOP 18(1964), 119-121.

(٢٦٠ Cedrenus, Compendium Historiarum, col. 809.

(٢٦١ Stratos, Byzantium in the Seventh Century, II, 33.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com